رفقاء النبي ﷺ في الجنة

كتبه

أبو مالك

عدنان بن عبده بن أحمد المقطري

عفا الله عنه





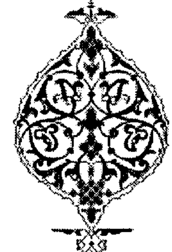




الطبعة الأولى ٢٠١١

رقم الإيداع

٢٠٠٩/١٦٠٥١





تقديم

الحمد لله الواحد العلام، صاحب الفضل والإنعام، وكاشف الكرب يوم الزحام ، وصلاةً وسلاماً على سيد الأنبياء ، وأشرف الأنام ، عدد ماهبت الأنسام، وخطت الأقلام ، وصدح على الأيك الحمام ، وعدد ماسبح مسبح وصلى مصل وصام ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام .

وبعد :

فإن رفقة النبي - ﷺ - في الجنة ، ومجاورته في دار النعيم ، والقرب منه في تلك الدرجات العلى، من أعظم مايتمناه المسلم ، وهو أمل يحدو إليه المشتاقون ، ويسعى إليه المحبون .

فمن أجله انتحب ثوبان -رضي الله عنه- مولى رسول الله ﷺ، وفي سبيله قام متهجداً، وعمل مجتهداً ربيعة ابن كعب الأسلمي رضي الله عنه،وللوصول إليه ضحى أبو بكر -رضي الله عنه- بنفسه وأهله، وعمر -رضي الله عنه- بشهواته وملذاته، وعثمان بماله وتجارته، وعلى ببطولاته وشجاعته.

وكم دمعت عين، وهاجت مشاعر، واهتزت أركان، وذابت قلوبٌ في ودِّه- ﷺ -ومحبته، والشوق إلى مجالسته ورفقته.

أين الذين بنار حبك أرسلوا

الأنوار بين محافل الأشواق

سكبوا الليالي في أنين دموعهم

وتوضئوا بمدامع الأشواق

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (جلاء الأفهام : ٢٦٥) :

(كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ، ومعانيه الجالبة لحبه ، تضاعف حبه له ، وتزايد شوقه إليه ، واستولى على جميع قلبه .

وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره ، وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ، ولاشيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه) .

إنه الحب وليس غير الحب من ولد ذلك الشوق، وصنع تلك التضحيات .

جاء في صحيح مسلم خبر قوم أرّقهم الحب، وأسهرهم الشوق إلى رؤيته ورفقته ـ ﷺ ـ ، وشرفٌ لهم أن النبي ـ ﷺ ـ هو من ينقل خبرهم ، ويحكي



تفاصيل حبهم .

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « من أشد أمتي لي حبا ، ناس يكونون بعدي ، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله » [(١)] .

ـ أخي الحبيب ـ ، ألم أقل لك ؟ يهون المال عندهم، بل والأهل والعيال ، يُضحى بهذا كله من أجل صحبته ـ ﷺ ـ .

فتعال معي ـ أخي الكريم ـ لأصطحبك وتكون رفيقي في هذا المؤلف ، لنبحث وإياك عن رفقاء النبي ـ ﷺ ـ عسانا أن نكون منهم ـ بفضل من الله ومنة ـ وما أحلاها من لحظات ، وأمتعها من ساعات، حين يكون العبد في رفقة حديثه ، وصحبة كلامه، ومحبة سُنَّته، ليسلك بهذا طريقاً إلى مرافقته ـ ﷺ ـ في جنات

---

(١) أخرجه مسلم : (٢٨٣٢)

النعيم ، جعلنا الله من أهلها ووفقنا لفردوسها ... اللهم آمين .... .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

أبو مالك

عدنان بن عبده بن أحمد بن سعيد بن علي المقطري

١٠ من رمضان المبارك ١٤٣٠هـ

اليمن ـ تعز





رفقاء النبي ﷺ

في الجنة

(١)

(مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ)

قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

(النساء:٦٩-٧٠).

إن في طاعة الله ورسوله ـ ﷺ ـ كثيراً من الخير الذي يوفق إليه المؤمن في الدنيا والآخرة . ومن ذلك مرافقة تلك الثلة المباركة من الأنبياء ، والصديقين والشهداء، والصالحين .

ولقد كان لهذه الآية سبب نزول ، يتضح من خلاله

المشاعر الفياضة ، والمحبة المتدفقة من الصحب الأخيار للنبي المختار- ﷺ -.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من أهلي ومالي ، وأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك ، فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي و موتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي - ﷺ - شيئاً حتى نزل جبريل - عليه السلام - بهذه الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ الآية (النساء :٦٩)[1].

ونقل الواحدي عن الكلبي أنها نزلت في ثوبان مولى رسول الله- ﷺ - .

(١) الطبراني في الصغير (١/ ٢٦)،وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٠٤) و(٨/ ١٢٥)،والواحدي في أسباب النزول (١٠١) ، وذكره شيخنا الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول ص : ٧٩-٨٠ .

فضل طاعة الله - عزوجل - ورسوله - ﷺ -

من القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت :٣٠-٣٢) .

وقال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (الأحقاف :١٣-١٤) .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾(الزلزلة : ٧) .

وقال تعالي :﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾(المزمل: ٢٠) .

من السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (**إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشئ أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها،ورجله التي يمشي بها،وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه**) رواه البخاري [١] .

٢- عن أنس بن مالك – رضي الله عنه –عن النبي – ﷺ –

(١) أخرجه البخاري : (٦٥٠٢).

فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل ـ قال: (إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً ،وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة) رواه البخاري [1] .

٣- عن عبد الله بن بُسر - رضي الله عنه -قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (خير الناس من طال عمره وحسُن عمله) رواه الترمذي [2] .

٤- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله -ﷺ- : (إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ،وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، أو أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر ، وعدد الستين والثلاثمائة ، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار) رواه مسلم[3] .

(١) أخرجه البخاري : (٧٤٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي :(٢٣٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم : ١٨٩٨ .

(٣) أخرجه مسلم (١٠٠٧).

٥- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :(من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له في الجنه نزلاً كلما غدا، أو راح) متفق عليه [١] .

٦- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله - ﷺ - قال : (بينما رجل يمشي بطريق اشتدّ عليه العطش، فوجد بئراً فيها فشرب ، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، قالوا يا رسول الله : إنّ لنا في البهائم أجراً ، فقال : (في كل كبدٍ رطبة أجر) متفق عليه [٢] .

٧ – عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (إذا توضأ العبد المسلم – أو المؤمن – فغسل وجهه

(١) أخرجه البخاري : (٦٦٢)، ومسلم :(٦٦٩).
(٢) أخرجه البخاري :(٦٠٠٩) ، ومسلم :(٢٢٤٤) .

خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء ، أو مع آخر قطرة الماء ، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب) رواه مسلم [1].

٨- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ،ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال :(إسباغ الوضوء على المكارة ، وكثرة الخطا إلى المساجد ،وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط) رواه مسلم [2] .

٩- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله - ﷺ - قال : (من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى) رواه البخاري [3] .

(١) أخرجه مسلم : (٢٤٤) .
(٢) أخرجه مسلم : (٢٥١).
(٣) أخرجه البخاري : (٧٢٨٠).



تفسير الآية الكريمة :

قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ (تفسير القرآن العظيم ١/٥٣٤) :

(أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ـ ﷺ ـ، فإن الله ـ عز وجل ـ يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم.ثم أثنى عليهم تعالى ، فقال: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ ا.هـ .

وقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي من عند الله (برحمته) وهو الذي أهلهم لذلك لا بأعمالهم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق)ا.هـ.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ (التفسير ٣/٣٩٧):

(أخبر تعالى أنهم لم ينالوا الفضل بطاعتهم بل نالوها بفضل الله تعالى وكرمه) ا.هـ .

وقال (٣/ ٣٩٧) : (والرفق لين الجانب ، وسمي الصاحب رفيقاً لارتفاقك بصحبته ،ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض) ا.هـ.

فوائد حول الآية :

قال القرطبي في تفسيره (٣/٣٩٧) :

(وفي هذه الآية دليل على خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - وذلك أن الله تعالى لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم ،وهم النبيون ثم ثنى بالصديقين ولم يجعل بينهما واسطة ، وأجمع المسلمون على تسمية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - صديقاً كما أجمعوا على تسمية محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسولاً، وإذا ثبت هذا



أو صح أنه الصديق ، وأنه ثاني رسول الله ـ ﷺ لم يجز أن يتقدم بعده أحد والله أعلم) أ.هـ.

قال الإمام ابن العربي المالكي الأندلسي في (أحكام القرآن ١/٤٩٠) :

(قال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: قال ذلك الرجل، وهو يصف المدينة وفضلها: يبعث منها أشراف هذه الأمة يوم القيامة، وحولها الشهداء أهل بدر وأحد والخندق ، ثم تلا مالك هذه الآية ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الآية.

يريد مالك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ (النساء: ٦٩)،هم هؤلاء الذين بالمدينة ومن حولها، فبين بذلك فضلهم، وفضل المدينة على غيرها من البقاع، مكة وسواها، وهذا فضل مختص بها، ولها فضائل سواها، بينها في



(قبس الموطأ)، وفي (الإنصاف على الاستيفاء) فلينظر في الكتابين) ا.هـ.

لما مرض النبي ـ ﷺ ـ في مرضه الذي مات فيه تلا هذه الآية الكريمة، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يُخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ـ ﷺ ـ يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بُححة يقول: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ الآية، فظننت أنه خير) رواه البخاري [1].

قال ابن القيم (التفسير القيم: ٢١):

(ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريد لسلوك طريق مرافقة فيها غاية العزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرق، وعلى الأنس بالرفيق، نّبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ

(١) أخرجه البخاري: ٤٤٣٥.



وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه ، فإنهم هم الأقلون قدراً، وإن كانوا الأكثرين عدداً، كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولاتغتر بكثرة الهالكين.

وكلما استوحشت في تفردك، فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) ا.هـ.

(٢)
أعنّي على نفسك بكثرة السجود

عن ربيعة بن كعب الأسلمي - رضي الله عنه - قال : كنت أبيت مع رسول الله - ﷺ - فآتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : (سلني، فقلت : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : أو غير ذلك، قلت : هو ذاك ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه مسلم .(١)

في قصة هذا الصحابي الجليل درس عظيم في علو الهمة ، وطلب الجنة، وفي رواية الطبراني جاءت قصته مطولة، فقال - رضي الله عنه -: (كنت أخدم النبي - ﷺ - نهاري،فإذا كان الليل آويت إلى باب رسول الله - ﷺ - فَبتُّ عنده، فلا أزال أسمعه يقول: (سبحان الله، سبحان

(١) رواه مسلم :(٤٨٩).

الله، سبحان ربي، حتى أمل، أو تغلبني عيني فأنام، فقال يوماً: يا ربيعة سلني فأعطيك، فقلت: يا رسول الله أسألك أن تدعو الله أن ينجيني من النار، ويدخلني الجنة، فسكت رسول الله ثم قال: من أمرك بهذا؟ قلت: ما أمرني به أحد، ولكني علمت أن الدنيا منقطعة فانية، وأنت من الله بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله لي، قال: إني فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود) رواه الإمام أحمد [1] .

وفي هذا الحديث عدد من فوائد :

١- خدمة ربيعة لرسول الله ـ ﷺ ـ :

وكان أصحابه ـ ﷺ ـ يتشرفون بخدمته، والقيام على حوائجه، وممن كان يقوم على خدمته ـ ﷺ ـ أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر الجهني، وأسلم بن شريك، وبلال بن رباح، وسعد مولى أبي بكر الصديق ، وأبو ذر الغفاري، وأيمن بن عبيد وأمه

(١) أخرجه أحمد في مسنده ـ حديث : ٤٢٣٩.

أم أيمن مولاة الرسول - ﷺ - رضي الله عنهم -[١].

٢- اجتهاد النبي ﷺ في عبادته لربه وتقربه إليه:

وهذا كان دأبه - ﷺ - وحرصه في التزود من الخير.
وفي الصحيحين عن المغيرة - رضي الله عنه - قال: كان النبي - ﷺ - يتقدم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له، فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً)[٢].

٣- مكافأته - ﷺ - لمن يحسن إليه ويقوم بخدمته:

ومن ذلك أيضاً، دعاؤه - ﷺ - لعبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: إن النبي - ﷺ - أتى الخلاء فوضعت له وضوءاً، فلما خرج قال: من وضع هذا؟ قلت: ابن عباس - رضي الله عنهما -، قال: (اللهم فقهه في الدين) رواه البخاري ومسلم[٣].

(١) زاد المعاد: (١/ ١١٣).
(٢) أخرجه البخاري: (١١٣٠)، ومسلم: (٢٨١٩).
(٣) أخرجه البخاري: (١٤٣)، ومسلم: (٢٤٧٧).

قال النووي: (وفيه استحباب الدعاء لمن عمل عملاً خيراً مع الإنسان) (شرح مسلم: ١٦/ ٣٦) .

ودعاؤه لأنس بن مالك، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قالت أمي يا رسول الله ، خويدمك، ادع الله له، قال : فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه) [١] .

وقد استجاب الله دعاء نبيه في هذين الرجلين ـ رضي الله عنهما ـ فابن عباس كان من الفقه بالمحل الأعلى، وأما أنس فيقول عن نفسه كما في مسلم: (فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي على نحو المائة، اليوم).

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ (نيل الأوطار ٢: /٩٨):

(فيه جواز قول الرجل لأتباعه ومن يتولى خدمته

(١) رواه البخاري : (٣٨٠) ، ومسلم : (٦٦٠)

سلوني حوائجكم) أ.هـ.

٤-إيثار الصحابي الجليل ربيعة الأسلمي-رضي الله عنه -
الآخرة على هذه الدنيا الفانية، وتشوقه للجنة، وخوفه من النار، فكان ذلك الطلب نتيجة لهمة عالية، وقلب متشبع بطاعة ربه، وذكر مولاه تبارك وتعالى ، فكان توفيق المولى -عز وجل- له باستغلال هذه الفرصة واستهبالها ، ووعده النبي - ﷺ - بأن يدعو له أن يكون رفيقه في الجنة.

٥- كثرة السجود سبب من أسباب مرافقة النبي - ﷺ - :

وطريق لأن يكون المؤمن جارًا لرسول الله - ﷺ - في الجنة.

٦- قال الشوكاني - رحمه الله - في (النيل ٢/ ٩٨) :

(وفيه دليل على أن من الناس من يكون مع الأنبياء في الجنة) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم : ٤/١٦٢):

(فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه ، والمراد به السجود في الصلاة) اهـ.

٧- وفي (نفس المصدر) :

(ولأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها، وهو وجهه من التراب الذي يداس ، ويمتهن والله أعلم) ا.هـ.

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ (٢/٩٨):

(وفيه أن السجود من أعظم القرب، التي يكون بسببها ارتفاع الدرجات عند الله إلى حد لا يناله إلا المقربون ، وبه أيضاً استدل من قال : أن السجود أفضل من القيام) ا.هـ.

وقال (نفس المصدر السابق): (وفيه أيضاً جواز سؤال الرتب الرفيعة التي تكبر عن السائل) اهـ.

فضل السجود والحث عليه :

١- عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان ـ رضي الله عنه ـ مولى رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألت فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: **عليك بكثرة السجود لله ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة،** وحط عنك بها خطيئة) قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان) رواه مسلم[(١)].

قال العلامة الشوكاني (النيل ٢/٩٧):

(وهو يدل على أن كثرة السجود مرغب فيه، والمراد به السجود في الصلاة).

٢- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) أخرجه مسلم: (٤٨٨).

قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد،فأكثروا الدعاء) رواه مسلم[١].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ (شرح مسلم: ٤/١٥٩): (معناه اقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله، وفيه الحث على الدعاء في السجود).

قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ(النيل ٢/٩٧):

(أي أقرب حالاته من الرحمةحال كونه ساجداً وإنما كان في السجود أقرب من سائر أحوال الصلاة وغيرها، لأن العبد بقدر ما يبعد عن نفسه يقرب من ربه، والسجود غاية التواضع، وترك التكبر، وكسر النفس لأنها لاتأمر الرجل بالمذلة، ولا ترضى بها، ولا بالتواضع بل بخلاف ذلك، فإذا سجد فقد خالف نفسه، وبعد عنها، فإذا بعد عنها قرب من ربه) ،

---

(١) أخرجه مسلم: (٤٨٢).



وقال: (والحديث يدل على مشروعية الاستكثار من السجود ، ومن الدعاء فيه) ا .هـ.

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً
منا إليـــك فعـــزهـــا في ذُلها

٣- عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: **(ما من عبد يسجد لله سجدة، إلا كتب الله له بها حسنة، ومحا عنه بها سيئة، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود)** رواه ابن ماجة[1] .

٤- عن أبي فاطمة - رضي الله عنه - قال: (قلت: يا رسول الله: **أخبرني بعمل أستقيم عليه وأعمله، قال: عليك بالسجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة)** رواه ابن ماجة[2] .

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم: (١٤٢٤) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : (٣٨٢)
(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم: (١٤٢٢) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب : (٣٨٥)

وعند أحمد قال: قال لي نبي الله ﷺ (يا أبا فاطمة إن أردت أن تلقاني فأكثر السجود) [١].

٥-عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **(من سجد لله سجدة كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة)** رواه أحمد [٢].

السجود في القرآن الكريم:

جاء في القرآن الكريم ذكر السجود، وبيان فضله بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة فمرة يأمر تعالى به ويحث عليه، وأخرى يثني على الساجدين القانتين، وتارة يذم المتكبرين عن السجود له، والانطراح بين يديه، وتارة يخبر عن سجود الكائنات له، وعدم

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم: (١٥٢٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٥)

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم: (٢٠٧٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب: (٣٨٨)

استكبارها عن ذلك وهكذا.

أمره تعالى بالسجود:

قال تعالى: آمراً نبيه - ﷺ -: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإنسان:٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق:١٩)، وقال تعالى: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (آل عمران:٤٣) .

وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ (النجم: ٦٢) ، وقال - عز وجل - : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (فصلت:٣٧) .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ

وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الحج:٧٧).

وقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (الحجر:٩٨).

ثناؤه تبارك وتعالى للساجدين:

قال تعالى في ذكر وصف أصحاب محمد - ﷺ - الذين معه: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح:٢٩).

وقال تعالى في ذكر صفات المؤمنين الفائزين: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (التوبة: ١١٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ (الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩).

وفي وصفهم يقول تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ (مريم: من الآية ٥٨)

وفي صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ (الفرقان: ٦٤).

وفي ذكر المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾(السجدة:١٥).

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

(الزمر:٩).

ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض:

لما تكبر المجرمون عن السجود لله، والتواضع له، ذكرهم الله ـ عز وجل ـ بغناه عنهم وبيَّن لهم أنَّ مَنْ في السموات، ومَنْ في الأرض يسجدون له، ويسبحون بحمده، وذلك في عدد من الآيات ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ (الرعد:١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (النحل: ٤٩).

وفي سورة الحج: ١٨ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾(الحج:١٨).

وفي سورة الرحمن: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾ (الرحمن:٦).

وقال تعالى عن ملائكته الكرام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (لأعراف:٢٠٦).

ذمه – عز وجل – لمن تكبر عن السجود له:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الفرقان: ٦٠).

وقال ـ عز وجل ـ مخبراً عن داعية التوحيد الهدهد: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النمل ٢٣-٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾ (الانشقاق: ٢١).

(٣)
رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين



عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم) قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). رواه البخاري ومسلم[١].

أخبر النبي - ﷺ - في هذا الحديث عن منزلة رفيعة، ومرتبة عالية لصنف من المؤمنين، وطائفة من الصادقين، في دار الخلد وجنة النعيم، وهذا دليل على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم، بحسب درجاتهم في

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٢٥٦)، ومسلم: (٢٨٣١)

الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم، وقد بين ذلك في الحديث بقوله (لتفاضل ما بينهم)[١] .

وقوله (الدُرّي) قال النووي (شرح مسلم ١٧/ ١٥):

(وهو الكوكب العظيم، قيل سمي درياً لبياضه كالدر، وقيل: لإضاءته، وقيل : لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر).

وقال: (ومعنى الغابر) الذاهب الماشي ، أي الذي تدلى للغروب ، وبعُد عن العيون، وروى في غير صحيح مسلم (الغارب) بتقديم الراء، وهو بمعنى ما ذكرناه، وروى (العازب) بالعين المهملة والذي معناه: البعيد في الأفق وكلها راجعة إلى معنى واحد)ا.هـ.

وعندما أخبرهم النبي - ﷺ - بتلك المنزلة الرفيعة

(١) فتح الباري :(٦/ ٣٢٧).

ظن الصحابة - رضي الله عنهم - أن تلك هي منازل الأنبياء ، وأن غيرهم لا يصل إليها ولا يبلغها غيرهم.

فأجابهم النبي-ﷺ-بأن غيرهم يبلغها ويصل إليها، بل وأقسم على ذلك- ﷺ-بقوله: (والذي نفسي بيده)، وما ذاك إلا تأكيداً وإلا فهو - ﷺ - الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، قال ابن التين: قيل أن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء وقال الداودي :هذه المنازل التي وصف ، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك) (فتح الباري : ٦/ ٣٢٨) .

وهؤلاء الرجال وصفهم النبي - ﷺ - بصفتين الأولى: الإيمان بالله، والثانية: تصديق المرسلين، وما دام أنهما من أسباب مرافقة النبي - ﷺ - في الجنة، وجواره في جنات عدن حري بنا أن نقف مع كل سبب منهما على حده .

أولاً : الإيمان بالله ـ عز وجل ـ :

إن الإيمان بالله تعالى من أجل الطاعات ، وأفضل القربات ، ففي الصحيحين عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟قال :(الإيمان بالله والجهاد في سبيله) رواه البخاري ومسلم[١].

والإيمان وصية النبي ـ ﷺ ـ لسفيان الثقفي ـ رضي الله عنه ـ كما في صحيح مسلم قال: فقلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً بعدك، قال ـ ﷺ ـ: (قل آمنت بالله ثم استقم).

وأمر به النبي ـ ﷺ ـ وفد عبد قيس حينما قالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل ، نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ،

---

(١) أخرجه البخاري : (٢٥١٨) ، ومسلم : (٨٤).

وسألوه عن الأشربة :

(فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ، أمرهم : بالإيمان بالله وحده ، قال : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس) رواه البخاري ومسلم.[1]

والإيمان سبب السعادة في الدنيا والآخرة، فمهما بحث العبد عن السعادة في كل ما يخطر ببالك، فالأمر على خلاف ذلك ، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل:٩٧) .

والإيمان في حياة الإنسان من الضروريات،

(١) أخرجه البخاري : (٥٣) ، ومسلم : (٣٨).

وضروريته أعظم من ضرورية الماء والهواء، والإنسان بدون العقيدة ضائع ، تائه، معذب، يفقد ذاته ووجوده، وبالمثال يتضح المقال.

فهذا شعرُ لضائع تاه، بدون عقيدة ولا إيمان، يشكو ضياعه وهيمانه، وعذابه، فيقول:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيت

كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لست أدري؟

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود؟

هل أنا حرٌ طليق أم أسير في قيود؟

هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود؟

أتمنى أنني أدري..

ولكني لستُ أدري

وقال مواصلاً شرحه لحياة الضياع:

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً

كنت محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شيّا

ألهذا اللغز حلٌّ؟ أم سيبقى أبدياً

لست أدري.. ولماذا لست أدري ؟

لستُ أدري؟

ويزيد تمرغاً في بحر ضياعه وغياب إيمانه بالله والدار الآخرة

أوراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشور؟

فحياة فخلود أم فناء فثبور؟

أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور؟

أصحيح أن بعض الناس يدر؟

لست أدري!

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الملك: ٢٢).

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الرعد: ١٩).

وأهل الإيمان هم أهل الجنة :

وكما أنهم في الدنيا عاشوا في حلاوة الإيمان، وكانوا مع ربهم الرحمن، كذلك هم في الآخرة في نعيم الجنان، وجوار المنان.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (النساء: ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة:٧٢).

فالفوز برضا الله ودار كرامته هي من نصيب أهل الإيمان ، ويكفي أهل الإيمان شرفاً ونبلاً، أنهم أهل ولاية الله ـ عز وجل ـ، وهم صفوته من خلقه ، ومن اختارهم لدينه وجنته. فاللهم اجعلنا من أهل الإيمان حقاً.

ثانياً: تصديق المرسلين:

وتصديق المرسلين والإيمان بهم من علامات الإيمان بل ومن أركانه التي يقوم عليها، ويؤسس بنيانها، ففي حديث جبريل: (فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

والله ـ عز وجل ـ يقول في كتابه الكريم حاكياً عن عباده المؤمنين: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: (٢/٤٦٤):

(آمن، أي صدق) وقال في تفسيره (٢/ ٤٦٢)

(١) رواه مسلم: (٨).

(يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ، ولانفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ (الفتح ٣٢٨/٦):

(وتصديق جميع المرسلين إنما يتحقق لأمة محمد ﷺ بخلاف من قبلهم من الأمم فإنهم وإن كان فيهم من صدق بمن سيجيء بعده من الرسل فهو بطريق التوقع لا بطريق الواقع والله أعلم).

وقد جعل الله تعالى تكذيب رسول واحد هو تكذيب لجميع المرسلين ، وكفر بهم جميعاً.

فقال ـ عز وجل ـ عن الأمم المكذبة لرسولها الذي أرسل إليها:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الشعراء:١٠٥).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الشعراء:١٦٠)



﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الشعراء:١٢٣)

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الشعراء:١٤١)

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الشعراء:١٧٦)

قال القرطبي (٧/ ٤٠٣) (وقال: ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾ لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل) ا.هـ.

تصديق المرسلين يستلزم أموراً:

إن تصديق الرسول الذي أرسله الله - عز وجل - إلى خلقه، يستلزم أموراً من حققها كان فعلاً داخلاً في هذه الفضيلة العظيمة.

فليس كل من قال أنه يصدق المرسلين ، ويؤمن بهم صادق في قوله حتى يتبعه بالفعل ، ويترجمه بالواقع.

قال الحافظ ابن حجر (الفتح ٦/٣٢٨):

(قوله (وصدقوا المرسلين) أي حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله ، وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك) ا.هـ.

ومما يستلزمه الإيمان بالرسول:

١ - تصديقه فيما أخبر، بحيث لا يكون عند الإنسان تردد فيما أخبر به - ﷺ -، ويوقن بأنه الحق، فإذا ثبت النص عن الرسول وجب علينا تصديقه، سواء علمنا وجهه أم لم نعلمه.

٢ - امتثال أمره - ﷺ -، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٣- أن يجتنب ما نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عنه قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

٤- أن لا يقدم قول أحد من البشر على قول النبي ـ ﷺ ـ فلا يحل لأحد أن يعارض قول النبي ـ ﷺ ـ بقول أحد من البشر كائناً من كان، ولو كان أبوبكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، ولذا جاء عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أنه قال: **(يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال: أبوبكر وعمر)**.

٥- أن لا يبتدع في دين الله ما لم يأت به الرسول ـ ﷺ ـ سواء عقيدةً، أو قولاً، أو فعلاً. عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

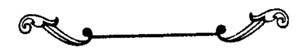
٦- أن ننزله المنزلة الشرعية التي أنزله الله إياها قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (الكهف: ١١٠).

فلا يُدعى أو يستغاث به ـ إلا في حياته فيما يقدر عليه ـ ، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف: من الآية١٨٨).

وإذا كان النبي ـ ﷺ ـ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، كيف يملكه لغيره وبهذا تعرف ضلال من يدعون رسول الله ـ ﷺ ـ ويستغيثون به عند قبره ، ويطلبون منه تفريج الكرب، وتنفيس الخطوب).



(٤)
التاجر الأمين الصدوق المسلم



عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ (**التاجر الأمين الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**). رواه ابن ماجه وابن حبان والدار قطني[1].

إن استغناء العبد عن الناس،وزهده عما في أيديهم باب عظيم،ولذلك يقول ـ ﷺ ـ كما في حديث سهل ابن سعد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ (**ازهد في الدنيا يحبك الله**،

(١) قال الألباني (السلسلة الصحيحة ٣٤٥٣): (أخرجه ابن ماجه (٢١٣٩) وابن أبي الدنيا في (صلاح المال) (٧٣/ ٢١٥) والمخلص في الفوائد المنتقاة (٨/ ٤/ ١) وابن حبان في الضعفاء (٢/ ٢٣٠٢-٢٣١) والحاكم (٢/ ٦/) والدار قطني في (السنن (٣/ ٧/ ١٧) ثم قال بعد أن ذكر بقية تخريجه والكلام حول رجاله: كنت ضعفته في بعض التخريجات، فاللهم غفرانا).

وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه[١].

وقد أثنى الله تعالى على ناس في القرآن، فقال سبحانه: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النور:٣٧).

إذ هم يتاجرون ويبيعون ويشترون ولكن لا يلهيهم ذلك عن ذكر الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

قال قتادة: (كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع حتى يؤدوه إلى الله).

والنبي - ﷺ - يقول لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - (نعم المال الصالح للمرء الصالح) رواه أحمد والبخاري

(١)رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٤).

في الأدب المفرد[١].

قال الحافظ ابن عبدالبر - رحمه الله - :

(إن المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجهه، والمأخوذ من غير محله، والآثار الواردة بذم المال، .. فوجه ذلك كله عند أهل العلم والفهم في المال المكتسب من الوجوه التي حرمها الله، ولم يبحها وفي كل مال لم يطع الله جامعه في كسبه، وعصى ربه من أجله وبسببه، واستعان به على معصية الله وغضبه، لم يؤد حق الله وفرائضه فيه ومنه، فذلك هو المال المذموم، والمكسب المشئوم، وأما إذا كان المال مكتسباً من وجه ما أباح الله، وتأدت منه حقوقه، وتقرب فيه إليه بالإنفاق في سبيله ومرضاته ، فذلك المال محمود وممدوح كاسبه ومنفقه لا خلاف بين العلماء في ذلك،

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٠٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) وصححه الألباني في صحيح الأدب (٢٩٩).

ولا يخالف فيه إلا من جهل أمر الله، وقد أثنى الله على إنفاق المال في غير آية) . جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١).

قال سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ :

(لا خير فيمن لا يطلب المال، يقضي به دينه، ويصون به عرضه، ويقضي به ذمامه، وإن مات تركه ميراثاً لمن بعده) رواه الخلال في (الحث على التجارة).

وأبو قلابة يوصي أيوباً السختياني، فيقول له (إلزم السوق فإن الغنى من العافية). وفي رواية (فإن أعظم العافية الغنى عن الناس). رواه عبدالرزاق وابن أبي شيبة.

وكان الإمام أحمد يأمر بالسوق، ويقول: (ما أحسن الاستغناء عن الناس) (الحث على التجارة للخلال) .

وعُرف عدد من الصحابة بالتجارة والضرب في الأرض ، بل هم من العشرة المبشرين بالجنة ومنهم أبو

بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم -.

فالتجارة من خير الأعمال وأعظمها، وقد كان النبي - ﷺ - يتجر لخديجة - رضي الله عنها - في مالها كما هو معلوم من سيرته، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل: من الآية ٢٠).

وحتى يكون التاجر مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة، رفيقاً لهؤلاء، وجاراً لخير الناس وصفوتهم، فعليه أن يقوم بالأوصاف المذكورة في هذا الحديث.

فأولها الأمانة:

وهي من أهم الصفات التي يجب على التاجر أن يتحلى بها في معاملاته مع الآخرين، وفي كتاب الله - عز

وجل ـ : ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص:٢٦) .

وقد عظَّم المولى – عز وجل – شأن الأمانة في كتابه الكريم فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب:٧٢).

وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك) رواه الترمذي[١] .

وحفظ الأمانة من علامات الإيمان، والتفريط فيها من علامات النفاق فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) متفق عليه[٢] .

(١) أخرجه الترمذي (١٢٦٤).
(٢) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩).

والأمانة في التجارة عامل من عوامل النجاح، ونموها ونمائها، فالتاجر الأمـين يحبه الله ويحبه الناس،وينال ثقتهم ويُتعارف عليه، فأصبحنا في زمن قلة هم أهل الأمانة، ولربما رأيت رجلاً يقيم الصلاة، ويؤدي الزكاة ، ويصوم ويحج ويعمل كثيراً من أمور الخير، ولكنه ليس أميناً في أموال الناس، وإذا كان حذيفة ـ رضي الله عنه ـ في زمنه يشكو من قلة الأمناء فكيف بزماننا!!.

قال حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السُّنَّة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال: **(ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيضل أثرها مثل أثر المجل، كجمر**

دحرجته على رجلك فنفط، فتراه متبثراً، وليس فيه شيء، ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله، فيصبح الناس يتابعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أجلده ما أظرفه، ما أعقله ، و ما في قلبه مثقال حبة من إيمان).

قال حذيفة: (ولقد أتى على الناس زمان ما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلماً ليردنه علي دينه،ولئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه علي ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً) متفق عليه[١] .

وقوله (جذر) هو أصل الشيء، (والوكت): الأثر اليسير، (والمجل): هو تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره، وقوله (متبثراً): مرتفعاً، وقوله: (ساعيه): الوالي عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣).



وثانيها الصدق:

الصدق في التجارة سبب من أسباب البركة في البيع، فعند البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)(١) .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ :(عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) (٢) .

إن الجو الذي يعيش فيه التاجر الصدوق من الغبش الذي حوله، جعل له هذا الأجر الكريم ، والثواب الجزيل، فعند مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٨) ومسلم: (١٥٣٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٧).

ﷺ: (أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها) [١].

وأما الإسلام:

فهو شرط أساسي لا بد من توفره في قبول الأعمال وصحتها.

فالتاجر الأمين الصدوق إذا لم يكن على الدين الحق، والملة الحنيفة فهو كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفرقان:٢٣).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ (النور:٣٩).

والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الزمر:٦٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧١).

فمن شروط صحة العمل خلوه من الشرك، ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾(الكهف من الآية: ١١٠).

والجنة محرمة على غير المؤمنين، ولن تدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ (المائدة: من الآية٧٢).

وكثيراً ما يأتي في القرآن الأمر بالعبادة مقروناً بالنهي عن الشرك، كقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾(النساء: من الآية٣٦).

والعبادة لا تكون عبادة إلا مع التوحيد، وكذلك لا تكون عبادة إلا بشرطين الأول: الإخلاص لله والثاني: المتابعة للرسول ﷺ .

فاللهم إن نسألك علماً نافعاً وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً.

(٥)
كافل اليتيم

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال: بأصبعيه السبابة والوسطى) رواه البخاري.

وفي رواية الترمذي: (كهاتين وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى)[1].

قال في تحفة الأحوذي (٣٨/٦): (اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، يستوي فيه المذكر والمؤنث، قيل اليتيم من الناس من مات أبوه، ومن الدواب من ماتت أمه) ا. هـ.

قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٥) والترمذي (١٩١٨).

يعمل به ليكون رفيق النبي - ﷺ - في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك.

قال ابن حجر: (الفتح: ١/٤٣٦): (قلت قد تقدم الحديث في كتاب اللعان، وفيه (وفرّج بينهما) أي بين السبابة والوسطى، وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي - ﷺ - وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر : (**بعثت أنا والساعة كهاتين**) الحديث. ا. هـ.

وقال أيضاً:(ويكفي في ثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى).

وقال الحافظ (الفتح ١٠/٤٣٧): (وقال شيخنا -العراقي – في شرح الترمذي: (لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي - ﷺ- أو منزلة النبي لكون النبي

شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم،فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك. ا.هـ (ملخصاً).

وقال ـ رحمه الله ـ :(قوله: وأ شار بأصبعيه السبابة) في رواية الكشميني (السباحة) بمهملة بدل الموحدة الثانية، والسباحة هي الأصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك لأنها يُسبح بها في الصلاة، فيشار بها في التشهد لذلك، وهي السبابة أيضاً لأنها يُسب بها الشيطان حينئذ) اهـ.

من هو اليتيم:

قال ابن السكيت: (اليتيم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يُقال لمن فقد الأم من

الناس يتيم، ولكن منقطع)[1].

قال ابن قدامة (المغني ٧/٣٠٦): (واسم اليتيم يطلق عليه في العرف للرحمة) وقال: (فاليتامى هم الذين لا آباء لهم، ولم يبلغو الحُلُم).

قلت: فتلخص لنا من هذا التعريف:

أولاً: أن اليتيم هو من فقد أباه. وأما من فقد أمه فليس بيتيم وإنما أسماه أهل اللغة: العجي، ومن مات أبواه يقال له: اللطيم.

ثانياً: أن تظهر عليه علامات البلوغ كالإنبات واحتلام الغلام، وحيض الجارية، وبعضهم قال: أن سن البلوغ خمس عشر سنة وهو قول أكثر أهل العلم.

وعند أبي داود عن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال

(١) لسان العرب ١٢/ ٤٦/ ٦٤٥.

رسول الله ـ ﷺ ـ: (لا يُتم بعد احتلام)[1].

قال في عون المعبود: (قال ابن رسلان: أي إذا بلغ اليتيم أو اليتيمة زمن البلوغ الذي يحتلم غالب الناس زال عنهما اسم اليتيم حقيقة وجرى عليهما حكم البالغين سواء احتلما أم لم يحتلما، وقد يطلق عليهما مجازاً بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ـ ﷺ ـ وهو كبير يتيم أبي طالب ، لأنه رباه). ا.هـ. (عون المعبود ٨/ ٦١).

فضل كفالة اليتيم والإحسان إليه:

إن النصوص الواردة في الكتاب العزيز والسنة النبوية المرغبة في كفالة اليتيم،والإحسان إليه عديدة و من ذلك:

١- الإحسان إلى اليتامى منجاة من النار:

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٣) وبوب عليه – باب ما جاء متى ينقطع اليتيم – وصححه الألباني (صحيح الجامع: ٧٦٠٩).

﴿ ... فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾(البلد:١١-١٦).

قال قتادة: (للنار عقبة دون الجنة فلا اقتحم العقبة، ثم أخبر عن اقتحامها فقال: فكُّ رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة).

قال القرطبي (٤٦٣/١٠): (يعلمك أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله).

٢- الإحسان إليهم من صفات الأبرار:

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾(الإنسان:٨).

قال ابن عباس ومجاهد: (على قلته وحبهم إياه

وشهوتهم له)[١].

٣- رعاية اليتيم سبب لبقاء الأمم:

في صحيح مسلم قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال: (سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو: أبصر ما تقول، قال أقول ما سمعت، من رسول الله - ﷺ -، قال: لئن قلت ذلك إن فيهم خصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم)[٢].

٤- النهي عن الإساءة إلى اليتيم:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ (الضحى:٩).

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٨).

قال القرطبي: (١٠/٤٨٨): (ودلت الآية على اللطف باليتيم، وبره والإحسان إليه، حتى قال قتادة: كُن لليتيم كالأب الرحيم).

وقال: (وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى، فغلظ في أمره، بتغليظ العقوبة على ظالمه) أ.هـ.

٥- الإساءة إلى اليتيم من صفات الكفار:

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾(الماعون:١-٣).

قال العلامة ابن عثيمين (تفسير جزء عم ص٣٣١): ﴿ يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ أي: يدفعه بعنف، لأن الدع هو الدفع بعنف كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ ﴾ (الطور:١٣). أي دفعاً شديداً، فتجد اليتيم إذا جاء إليه يستجديه شيئاً أو يكلمه في

شيء يحتقره ويدفعه بشدة فلا يرحمه).

٦-رحمة اليتيم سبب للين القلب،وإدراك الحوائج:

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: **(أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك)** رواه الطبراني[١].

وعلى كل فالإسلام قد أمر بالإحسان لهذه الثُلة من البشر، لضعفها ووحدتها في هذا المجتمع، ومن أجل ذلك رتبت على كفالتها ورعايتها تلك الأجور العظيمة، فحري بالأمة أن تنهض بهذا الحق العظيم، تجاه الأيتام.

فاللهم وفقنا لكل خير واجعلنا من المحسنين.

(١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠).

(٦)

عائل البنات



عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو- وضم أصابعه-) . رواه مسلم [١] .

وفي رواية الترمذي: (من عال جاريتين دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين - وأشار بأصبعيه -) [٢] .

يقول الله ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم آمراً الآباء بتربية الأبناء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ (التحريم: من الآية٦).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣١) والترمذي (١٩١٤).
(٢) قال النووي: (عالهما) قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما،مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه (أبدأ بمن تعول) ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين) أ.هـ. شرح مسلم ١٦/ ١٧٠.

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : (علموهم وأدبوهم).

وقال الحسن: (مروهم بطاعة الله، وعلموهم الخير).

وعند أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ (مُروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)[1].

وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير راع على الناس وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وامرأة الرجل راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على

(١) رواه أبو داود (٤٩٥).

مال سيده وهو مسئول عنه.. ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته).

ففي هذه النصوص الشرعية وغيرها ، يأمر الشرع فيها بالاهتمام بالأولاد،وتأديبهم ،وتربيتهم ،والاعتناء بهذه المسؤولية التي حملت على عاتق الآباء.

ومع هذا إلا أنه قد جاءت نصوص أخرى تؤكد حق البنات ، وتذكر بفضيلة الإحسان إليهن والصبر عليهن، ومما أنكره الله على أهل الجاهلية ، وذمهم عليه بُغض البنات ، وكراهيتهم البشرى بهن، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

(النحل:٥٨ - ٥٩).

ولذلك قّدم الله ـ عز وجل ـ ذكر الأنثى في كتابه

الكريم فقال: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الشورى:٤٩ - ٥٠).

قال ابن القيم (تحفة المودود ؛ ص١٨): (وعندي وجه آخر وهو أنه تعالى قدّم ما كانت تؤخر الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهن أي هذا النوع المؤخر الحقير عندكم مقدم عندي في الذِكر). أ.هـ.

وإن الناظر في المذاهب والأديان والملل والمناهج لن ولم يجد شريعة كرمت البنت، وشرفتها وأمرت بكفالتها ورعايتها، كما هو في الشريعة الإسلامية.

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاءتني امرأة، ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها

فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليّ النبي - ﷺ - فحدثته حديثهما، فقال النبي - ﷺ -: (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن ، كُنَّ له ستراً من النار) [١] .

قال الإمام النووي (شرح مسلم) ١٦/١٧٠:

(إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ (النحل:٥٨) .

فانظر كيف جعل النبي ﷺ - تربية هؤلاء البنات سبباً في مرافقته في الجنة، وكذلك هو سبب في ستر المؤمن من النار، فهن سبب في هذا كله فأي فضل وأي كرامة لهؤلاء البنات يجدها الإنسان في غير الشريعة السمحة المباركة شريعة الإسلام؟.

(١) أخرجه والبخاري (١٤١٨)، مسلم (٢٦٢٩) .

قال النووي بعد ذكره لهذه الأحاديث (شرح مسلم١٦٠/١٧٠): (وفي هذه الأحاديث فضل الإحسان إلى البنات، والنفقة عليهن، والصبر عليهن، وعلى سائر أمورهن).

وقال الحافظ ابن حجر (الفتح)٦/٤٢٨: (وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره كما أشير إليه في بعض ألفاظ الحديث ، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله، وقد جاء أن الثواب المذكور إنما يحصل لمن أحسن لواحدة فقط، ففي حديث ابن عباس المتقدم: (فقال رجل من الأعراب، أو اثنتين، فقال: أو اثنتين، وفي حديث عون بن مالك عند الطبراني (فقالت امرأة) وفي حديث جابر (وقيل) وفي حديث أبي هريرة (قلنا) وهذا يدل على تعدد السائلين، وزاد

في حديث جابر (رأى بعض القوم أن لو قال وواحدة لقال: وواحدة.) وفي حديث أبي هريرة: (قلنا أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين) قلنا: وواحدة؟ قال: وواحدة) وشاهد حديث ابن مسعود وفيه: (من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها ، وأوسع عليها من نعمة الله التي أوسع عليه) أخرجه الطبراني بسند واهٍ).

وعند ابن ماجة عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته ، كُنَّ له حجابًا من النار يوم القيامة) [١] .

وعند ابن ماجة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ (ما من رجل تدرك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما، إلا أدخلتاه الجنة) [٢] .

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٦٦٩) ومعناه من جدته أي من غناه ، وهو في الصحيحة (٢٩٤).

(٢) رواه ابن ماجة (٣٦٧٠)، وصححه الألباني الصحيحة (٢٧٧٥).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -قال: قال رسول الله - ﷺ -: (من كان له ثلاث يؤويهنّ، ويكفيهنّ،ويرحمهنّ، فقد وجبت له الجنة البتة ، فقال رجل من بعض القوم: واثنتين يا رسول الله؟ قال: (واثنتين) [(١)] .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال: (لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات فيحسن إليهنّ، إلا دخل الجنة) رواه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد[(٢)] .



(١) البخاري في الأدب المفرد (٧٨) وصححه الألباني الصحيحة (٢٩٤).
(٢) أخرجه الترمذي (١٩١٢) والبخاري في الأدب المفرد (٧٩)، وذكره الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٩).



(٧)

من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة



عن عمرو بن مرة الجهني - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان، فقال رسول الله ﷺ (من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب إصبعيه - ما لم يعق والديه) رواه أحمد.

في هذا الحديث ذكر النبي ﷺ أن أركان الإسلام بإستثناء الحج والتي عليها قيامه، من قام بها ومات عليهاكان يوم القيامة رفيقاً للنبيين والصديقين

والشهداء يوم القيامة، ثم بين النبي - ﷺ - أن ذلك مشروط بـ (مالم يعق والديه). رواه أحمد

وهذا الحديث ذكر النبي - ﷺ - فيه أركان الإسلام - باستثناء الحج - وأن من قام بها ومات عليها كان يوم القيامة رفيقاً للنبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة، ثم وضع النبي - ﷺ - شرطاً : (مالم يعق والديه).

وإليك أخي الكريم بعض الوقفات حول هذه الأركان المهمة :

- شهادة أن لا إله إلا الله:

والشهادة معناها أن تقر وتعترف بلسانك وقلبك والشهادة باللسان لا تكفي، بدليل أن المنافقين يشهدون لله - عز وجل - بالوحدانية، ولكنهم يشهدون بألسنتهم، فيقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ومعنى (أشهد) أي أقر بقلبي ناطقاً بلساني، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(الزخرف: من الآية٨٦). ومعنى (لا إله إلا الله) :لا معبود حق إلا الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الحج:٦٢)

فشهادة أن ألا إله إلا الله تستلزم إخلاص العبادة لله، وشهادة ألا إله إلا الله هي زبدة دعوة الرسل، وخلاصة رسالتهم قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(الانبياء:٢٥).

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (النحل:٣٦).

وقال تعالى:﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ (النحل:٢).

وهي الكلمة الطيبة التي وصفها الله في كتابه بذلك، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾(إبراهيم: ٢٤ - ٢٥).

وهي القول الثابت التي يثبت الله بها عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾(إبراهيم: ٢٧).

وهي العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا، ومن لم يتمسك بها هلك.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (لقمان: ٢٢).

شروط أن لا إله إلا الله:

ومع ماتقدم من فضل هذه الكلمة وأهميتها وما لها من ثمار نافعة في الدنيا والآخرة، فمع هذا كله ينبغي للمؤمن أن يعلم أن (لا إله إلا الله) لا تقبل من قائلها بمجرد أن ينطق بها، بل لابد مع ذلك من أداء حقها والقيام بشروطها.

ولقد أشار السلف الصالح إلى أهمية العناية بشروط لا إله إلا الله، ووجوب الالتزام بها، ومن ذلك ما جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قيل له: إن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

قال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته، ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن إله إلا الله منذ سبعين سنة، فقال الحسن: نعم العدة، لكن للاإله إلا الله شروطاً، فإياك وقذف المحصنات.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟قال:بلى،ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح.

يشير بالأسنان إلى شروط لاإله إلا الله[1].

وشروطها سبعة:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

والثاني: استيقان القلب بها.

والثالث: الانقياد لها ظاهراً وباطناً.

(١) نقل هذه الآثار ابن رجب في (كلمة الإخلاص) ص:١٤، نقلاً عن فقه الأذكارلشيخنا العلامة عبدالرزاق العباد، حفظه الله، القسم الأول: ١٦١ - ١٦٢.



والرابع: القبول لها فلا يريد شيئاً من لوازمها، ومقتضياتها.

الخامس: الإخلاص فيها.

السادس: الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط.

السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاة، والمعادة لأجلها.

وقد جمعها بعضهم بقوله:

(علمٌ يقين وإخلاصٌ وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها).

وجمعها الشيخ حافظ الحكمي - رحمه لله - في (معارج القبول ١/٢١) بقوله:

وبشـــروط سبعـــة قـــد قيـــدت

وفي نصوص الوحـي حقاً وردت

فإنـــــه لـــــم ينتفـــع قائلـــهـــا

بالنطـــق إلا حيـــث يستكملهـــا

العلـــم واليقـــين والقبـــول
والانقيـــاد فـــادر مـــا أقـــول
والصـــدق والإخـــلاص والمحبة
وفـــقـــك الله لـــما أحـــبـــه[١] .

شهادة أنّ محمد رسول الله:

هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾(الأحزاب:٤٥-٤٦).

فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق، وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال، وحرم من حرام، والامتثال والانقياد لما أمر به، والكف

(١) من أعلام السُّنَّة المنشورة لحافظ الحكمي ص ٣٦.

والانتهاء عما نهى عنه، وإتباع شريعته، والتزام سنته، في السر والجهر، مع الرضا بما قضاه والتسليم له،وأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته هي معصية الله، لأنه مبلغ عن الله ورسالته، ولم يتوفَّاه الله حتى أكمل به الدين، وبلَّغ البلاغ المبين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك[١].

الصلوات الخمس:

الصلوات هي عبادات معلومة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، وهي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأنفع أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة بين العبد وربه، وهي عمود الدين.

ومن ثمرات الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر،

(١) من أعلام السُّنَّة المنشورة ص ٤٢، وقد تقدم التفصيل أكثر في الباب الثالث.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ ﴾(العنكبوت: من الآية٤٥).

وهي مكفرات للذنوب وورد ذلك في عدد من الأحاديث عنه ـ ﷺ ـ من ذلك:

١- عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارة لما بينهن، ما لم تُغش الكبائر) رواه مسلم[1].

٢- وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات) رواه مسلم[2].

٣- وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ـ ﷺ ـ فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ

---

(١) رواه مسلم (٢٣٣) ومعنى (ما لم تغش) أي ما لم تُفعل.

(٢) رواه مسلم (٦٦٨) والغمر: هو الكثير.

يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (هود:١١٤)
فقال الرجل: ألي هذا؟ فقال: (لجميع أُمتي كلهم) متفق عليه[١].

وقد أمر الله تعالى بالمحافظة على هذه الصلوات فقال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ (البقرة:٢٣٨).

وتوعد من ضيعها وفرط فيها، فقال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾(الماعون:٤-٥).

وقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾(مريم:٥٩).

والأحاديث الواردة في سُنَّة النبي ـ ﷺ ـ تبين فضل الصلوات الخمس، والمحافظة عليها كثيرة جداً، وقد

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٧٦٣).

ذكر العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب عدداً منها أضع بين يديك ما تيسر إيراده ومن ذلك.

١- عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ :(**تحترقون**[١] **فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتهم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**) رواه الطبراني في الصغير والأوسط[٢] وإسناده حسن.

٢- عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (**إن لله ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم! قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها**) رواه الطبراني في الأوسط والصغير [٣] وهو حسن.

(١)معنى تحترقون: أي تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط : (٢٢٦٣) ، والصغير : (١٢١) .
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط : (٩٦٢٧) ، والصغير : (١١٣١) .



٣- عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان الفارسي - رضي الله عنه - لينظر ما اجتهاده ؟ قال: فقام يصلي من آخر الليل، فكأنه لم ير الذي كان يظن، فذكر ذلك له، فقال سلمان: **حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات، ما لم تصب المقتلة)** رواه الطبراني في الكبير موقوفاً [١] ، والمقتلة: يفسرها حديث (ما لم تغش الكبائر).

٤- عن أبي أيوب - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - كان يقول: (إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة) رواه أحمد بإسناد حسن.

٥- عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال:(كان **رجلان أخوان، فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة، فذكرت فضيلة الأول منهما عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله: (ألم يكن الآخر مسلماً؟) قال: بلى، وكان لا بأس به، فقال**

(١) أخرجه الطبراني في الكبير : (حديث : ٥٩٢٤)

رسول الله: (وما يدريكم ما بلغت به صلاته؟ إنما مثل الصلاة كمثل نهر بباب أحدكم، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون في ذلك يبقى من درنه؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به صلاته) رواه مالك.[1] واللفظ له وأحمد بإسناد حسن والنسائي.

٦- عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) رواه الحاكم وابن حبان[2].

٧- عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ: خرج في الشتاء والورق يتهافت، فأخذ بعض من شجرة، قال: فجعل ذلك الورق يتهافت، فقال: (يا أبا ذر!)، قلت: لبيك يا رسول الله! قال: (إن العبد المسلم ليصلي الصلاة،

(١) رواه مالك في موطئه - حديث: ٤٢٥.
(٢) أخرجه الحاكم: (٤٠٨)، وابن حبان: (١٠٤٢).

يريد بها وجه الله، فتهافت عنه ذنوبه كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة) رواه أحمد [(١)] بإسناد حسن.

أداء الزكاة:

إنّ الزكاة شقيقة الصلاة وبها مع التوحيد وإقامة الصلاة يدخل المرء في جماعة المسلمين، ويستحق أخوتهم والانتماء إليهم كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ (التوبة:١١).

وقد تكررت كلمة الزكاة في القرآن ٣٠ مرة، ذكرت في سبع وعشرين منها مقترنة بالصلاة.

والفقهاء يعرضون للزكاة في كتب الفقه باعتبارها العبادة الثانية في الإسلام، ولهذا تذكر في أبواب العبادات عقب الصلاة استناناً بالقرآن والسُّنَّة.

(١) أخرجه أحمد في مسنده : - حديث : ٢١٠٠٥ .

والزكاة ثالثة دعائم الإسلام : فهي أحد الأركان الأساسية لهذا الدين، وقد رُغب في أدائها ، ورُهب من منعها بأحاديث شتى وأساليب متنوعة.

ففي البخاري عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: (بايعت النبي ـ ﷺ ـ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم) [١] .

وفي حديث ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ في الصحيحين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة..) [٢] الحديث.

وإنما ـ ﷺ ـ اقتصر على الصلاة والزكاة لشدة الاهتمام بهما ، وقد يكتفي النبي ـ ﷺ ـ في بعض الأحيان بذكر بعض هذه الأركان الخمسة دون بعض، بيد أن الصلاة

(١) أخرجه البخاري : (٥٧) ، ومسلم :(٥٦).
(٢) أخرجه البخاري : (٢٥) ، ومسلم :(٢٢).

والزكاة كانتا في مقدمة ما يأمر به، ويدعو إليه، ويبايع عليه.

وفي أحاديث أخرى أنذر الرسول - ﷺ - ما نعي الزكاة بالعذاب الغليظ في الدنيا والآخرة.

فقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه، - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا النبي - ﷺ - الآية: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (آل عمران: من الآية ١٨٠) [١].

وفي مسلم أن النبي - ﷺ - قال: (ما من صاحب

---

(١) أخرجه البخاري: (١٤٠٣).

ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا جُعلت له يوم القيامة صفائح، ثم أحمى عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين الناس فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وما من صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أتى به يوم القيامة تطؤه بإطلاقها، وتنطحه بقرونها، كلما مضى عليه أخراها، رُدت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) [1] .

وكما أنه جاءت عقوبات أخروية لتارك الزكاة، فهناك عقوبات دينوية شرعية قدرية لكل من يبخل بحق الله تعالى.

قال ـ ﷺ ـ : (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله

(١) أخرجه مسلم:(٩٨٧) .



بالسنين) رواه الطبراني في الأوسط[١] والحاكم والبيهقي [٢] وعندهما : (ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر). والسنين: جمع سنة وهي المجاعة والقحط.

وفي حديث ثوبان - رضي الله عنه - قال - ﷺ - (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولو لاالبهائم لم يمطروا) رواه ابن ماجة [٣] .

ومن تلك العقوبات والتي يتولاها ولي الأمر ماجاء في قوله - ﷺ - في الزكاة : (من أعطاها مؤتجراً فله أجره، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء) رواه أبو داود عن معاوية بن

---

(١) في الأوسط للطبراني - حديث : (٤٦٧٧).
(٢) أخرجه الحاكم حديث : (٢٥١٠) والبيهقي في السنن الكبرى - حديث : (٦٠١٠).
(٣) أخرجه ابن ماجة : حديث : (٤٠١٩) وهو في الصحيحة للألباني برقم : (١٠٦).

حيدة [١].

ومعنى: مؤتجرًا أي: طالب الأجر.

وزيادة على العقوبة التعزيرية المالية لمانع الزكاة، فقد أعلن الإسلام الحرب على كل فئة ذات شوكة تتمرد على أداة الزكاة، ففي عهد الصديق ـ رضي الله عنه ـ تمردت قبائل شتى من العرب على أداء الزكاة واكتفوا من الإسلام بالصلاة دون الزكاة، فلم يقبل الصديق ـ رضي الله عنه ـ التفرقة بين العبادة البدنية (الصلاة)، والعبادة المالية (الزكاة).

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما توفى رسول الله ـ ﷺ ـ وكان أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها**

(١) أخرجه أبو داود ـ حديث: (١٥٧٥)



عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى)؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق) رواه البخاري ومسلم [1] .

وقد ذكر صاحب البدائع (٣/٣) فقال: (إن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف، وإمداد العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله ـ عز وجل ـ عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروضة.

والزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب، وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم، وترك الشح والظن، إذ النفس مجبولة على الظن بالمال، فتتعود

(١) أخرجه البخاري : (١٣٩٩) ، ومسلم :(٢٠) .

السماحة، وترتاض لأداء الأمانات، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾

(التوبة:١٠٣) .

والله تعالى قد أنعم على الأغنياء، وفضلهم بصنوف النعمة ، والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصهم بها، فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعاً ، وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضاً.) ا.هـ بتصرف .

صيام شهر رمضان:

إن للصيام منزلة عظيمة، ورتبة رفيعة في دين الله تعالى تكاثرت بذلك النصوص،وتتابعت الأدلة التي توضح بجلاء فضائل الصوم وما أعده الله تعالى لأهله.

١ - فهو الركن الرابع من أركان الإسلام:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان) متفق عليه [١] .

٢ - إلا الصوم فإنه لي:

من عظيم فضل الصيام ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزئ به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) [٢] .

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٩٠٤) ومسلم رقم :(١١٥١).
(٢) أخرجه البخاري رقم :(١٩٠٤) ومسلم رقم :(١١٥١).

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ (لطائف المعارف) ص٢٣٤ : (فإن الله خص الصيام بإضافاته إلى نفسه دون غيره من سائر الأعمال).

٣- صيام رمضان سبب للمغفرة:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه البخاري ومسلم[1].

قال الألباني ـ رحمه الله ـ (صحيح الترغيب) ١/٤١٥:

(قال الخطابي: قوله: إيماناً واحتساباً) أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه، غير كاره له ولامستقل لصيامه، ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب،

---

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٩٠١) ومسلم رقم :(٧٦٠).

وقال البغوي: قوله (احتساباً) أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه، يقال: فلان يحتسب الأخبار ويتحسبها: أي يتطلبها.

٤- والصيام كفارة:

فعن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: (**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة**) رواه البخاري ومسلم [1].

ولما كانت هذه الفضائل وغيرها كثير للصيام اختار الله تعالى شهر رمضان ليكون محلاً لصيام الفريضة ولذلك قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٨٩٥)، ومسلم رقم :(١٤٤)

وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقرة١٨٥) .وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (البقرة١٨٣) .

فريضة الصيام في شهر رمضان:

وقد جاء في فضل رمضان عدد من النصوص التي تبين اصطفاء الله تعالى لهذا الشهر من بين الشهور ، وجعله سيدها وأفضلها : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (القصص٦٨).

ومن فضائل هذا الشهر ، ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (إذا جاء رمضان، فتحت أبواب الجنة، وغُلقت أبواب النار،



وصُفدت الشيطان) [١] .

ورواه الترمذي وابن ماجه بلفظ: (إذا كان أول ليلة منْ شهر رمضان صُفدت الشياطين ، ومردة الجن، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة) [٢] .

ومعنى: (صُفدت): أي شدت بالأغلال والصفد: القيد، وعند النسائي: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: **(أتاكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتغُل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، فمن حُرم خيرها فقد حُرم)** [٣] .

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٨٩٩) ، ومسلم رقم :(١٠٧٩)
(٢) أخرجه الترمذي : (٦٨٢) ، وابن ماجه:(١٦٤٢)
(٣) أخرجه النسائي رقم :(٢١٠٦) ، عن أبي هريرة ـ.

فرمضان فرصة عظيمة، ومناسبة كريمة، تصفو فيها النفوس وتهفوا إليها الأرواح، وتكثر فيها دواعي الخير، تفتح الجنات، وتتنزل الرحمات، وترفع الدرجات، وتغفر الزلات.

في رمضان تهجد وتراويح وذكر وتسبيح، في رمضان تلاوة وصلوات ، وجود وصدقات، وأذكار ودعوات، وضراعة وابتهالات[١] .

وهذا الشهر من فضل الله ورحمته بنا ، والله تعالى يقول :﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (يونس:٥٨).

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ (لطائف المعارف : ٢٤٩) :

(لما تسلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوى،

(١) من خطب الشيخ السديس: (كوكبة الخطب المنيفة) ص: ٢٢٦ .



وصارت الدولة كحاكم العقل بالعدل، فلم يبق للعاصي عذر، يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصالحين ارتفعي، يا قلوب الصائمين أقشعي، يا أقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المتهجدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوى ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس أقلعي).

عقوق الوالدين :

وفي ختام الحديث وضع النبي - ﷺ - قيدا مهما حتى يصح للعبد رفقة الخير، وصحبة صفوة خلق الله تعالى ، فقال - ﷺ -: (ما لم يعق والديه).

فتأمل - أيه الأخ الكريم - كيف جعل النبي - ﷺ - عقوق الوالدين سبباً في الحيلولة دون هذه المنقبة الكريمة ، ولأهمية بر الوالدين فقد جعل الله تعالى

الوصية به بعد وصيته ، وأمره بالتوحيد فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الاسراء:٢٣).

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء:٣٦).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ (الأنعام:١٥١).

فإذا كان لله نعمة الخلق والإيجاد، فللوالدين نعمة التربية والإيلاد، لذلك قرن الله سبحانه حق الوالدين بحقه سبحانه، وما ذاك إلا لعظم حقهما، وكريم فضلهما.

وفي سورة لقمان (١٤): ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

قال بعض السلف: (ثلاث آيات مقرونات بثلاث وذكر منها هذه الآية ثم قال: فمن لم يشكر لوالديه، لم يشكر الله ـ عز وجل ـ).

وجاء في الأدب المفرد (١١) للبخاري (لقي ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رجلاً في المطاف يحمل أمه على ظهره يطوف بها، فقال: (يا ابن عمر، أتراني جزيتها؟ قال: ولا بزفرة واحدة).

وقال رجل لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : (أمي عجوز كبيرة أنا مطيتها أجعلها على ظهري، وأنحي عليها بيدي وألي منها مثل ما كانت تلي مني، أوأديت شكرها؟ قال: لا! ، قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: إنك تفعل ذلك بها، وأنت تدعو الله أن يميتها، وكانت

تفعل ذلك بك وهي تدعو الله أن يطيل عمرك) رواه ابن أبي الدنيا في (مكارم الأخلاق) ٢٢١.

إن للوالدين حق علينا بعد حق الإله في الاحترام
أولدانا وربيانا صغاراً فاستحقا نهاية الإكرام

وبر الوالدين منهج الأنبياء والمرسلين يقول تعالى عن عيسى - عليه السلام - ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ (مريم: ٣٢).

ويقول عن يحيى - عليه السلام -: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ (مريم: ١٤).

وقال الله - عز وجل - عن نوح - عليه السلام - : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (نوح: ٢٨).

وقال عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ (ابراهيم: ٤١) .

فيا معشر الأبناء: إن رضا الله من رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين، فاتقوا الله فيهما وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم.



(٨)
المرء مع من أحب

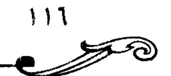


عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: (المرء مع من أحب). متفق عليه[١].

إن في هذا الحديث الشريف نعمة عظيمة، ومنة جليلة، على عباد الله المؤمنين، حيث وأنه ـ ﷺ ـ يبين أن محبة الإنسان لقوم سبب في لحاقه بهم، وأن قصر به عمله .

قال العلامة العثيمين - رحمه الله - (شرح رياض الصالحين) ٥٧/١: (هذه بشرى للإنسان أنه إذا أحب قوما صار معهم، وإن قصر به عمله، يكون

(١) أخرجه البخاري رقم :(٦١٦٩)، ومسلم رقم :(٢٦٤٠).



معهم في الجنة، ويجمعه الله معهم في الحشر، ويشربون من حوض الرسول - ﷺ - جميعاً..) ا.هـ.

وجاء في معنى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ - غيره.

فعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - ﷺ -: (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: المرء مع من أحب) متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رجلاً سأل النبي - ﷺ - عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ -، فقال:أنت مع من أحببت) قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي - ﷺ -:(أنت مع من أحببت).

قال أنس - رضي الله عنه -: فأنا أحب النبي - ﷺ - وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم

(١) أخرجه البخاري رقم :(٦١٧٠)، ومسلم رقم :(٢٦٤١)

أعمل بمثل أعمالهم) متفق عليه [١] .

وفي رواية (ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ : (شرح مسلم ١٦/٧٧): (فيه فضل حب الله ورسوله ـ ﷺ ـ ، والصالحين، وأهل الخير، الأحياء والأموات) أ.هـ.

إنه الحب الذي لا يوازيه أي حب في الدنيا، إذ أن الحب في الدنيا ومن أجلها سراب، تشوبه العلاقات التي بنيت على المصالح، فسرعان ما ينتهي، وإن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزخرف:٦٧).

فأي سعادة تقارب تلك السعادة في الحب: (أنت مع من أحببت)!! ، وأي نجاح في النهاية يوازي ذلك

(١) أخرجه البخاري رقم :(٣٦٨٨) ، ومسلم رقم :(٢٦٣٩).

الحب؟!!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

(إنما ينفع العبد الحب لله لما يحبه الله من خلقه كالأنبياء، والصالحين، لكون حبهم يقرب إلى الله وصحبته، وهؤلاء هم الذين يستحقون محبة الله لهم) الفتاوى: (١٠/ ٦١٠).

وقال في الفتاوى: (١٠/٦١٠):

(فإنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك لله، كما إذا ذكرت النبي ﷺ والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلى محبة الله المنعم عليهم، وبهم إذا كنت تحبهم لله) ا.هـ.

فمن أعد هذا الحب، وصدقت سويداء قلبه،

وتدفقت آثاره على جوارحه وأركانه، كان أولى الناس بهم.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ (جلاء الأفهام ـ ص: ٢٩٧):

(وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ـ ﷺ ـ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرسلة وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله،وكذلك محبة أهل العلم، والإيمان ومحبة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله ـ ﷺ ـ) . اهـ

فمحبة الأنبياء والصالحين إنما هي تبع لمحبة الله تعالى، ويقوم بها العبد تقرباً إلى ربه – عز وجل ـ .

ولقد اصطفى الله ـ عز وجل ـ من بين هؤلاء الناس من الأنبياء والمرسلين والأتقياء والصالحين محمداً ـ ﷺ ـ

فكان الخليل الذي اتخذه الله تعالى.

ولذلك أوجب الله علينا محبة النبي ـ ﷺ ـ، وجعل محبته مقدمة على محبة جميع البشر، ومن تخلف عن هذه المحبة، فقد توعده وهدده، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(التوبة:٢٤).

فمحبة النبي ـ ﷺ ـ أصل من أصول الإيمان، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ـ ﷺ ـ : (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**) رواه البخاري ومسلم[١].

---

(١) أخرجه البخاري رقم :(١٥)، ومسلم رقم :(٤٤)

ومن تأمل الخير الواصل إلينا من جهة النبي - ﷺ - علم أنه أحق بالمحبة والتوقير ، والتعظيم ، والاتباع من الآباء والأمهات، فإن الآباء والأمهات سبب في الحياة الفانية، والنبي - ﷺ - سبب في الوصول إلى الحياة الباقية الأبدية.

ولوجوب هذا الحب، والتأكيد عليه من رب العالمين، فقد أوجب الله على كل مسلم أن يفدي رسول الله - ﷺ - بنفسه وماله وأهله وولده.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (التوبة: من الآية ١٢٠).

المسلم يحب محمداً - ﷺ - مرتين: مرة بحكم دينه الذي لا يشاركه فيه غيره، ومرة بحكم الشمائل



الإنسانية التي يشترك فيها جميع الناس [١].

وإن محبة رسول الله ـ ﷺ ـ لها ثمن وعليها علامات، بها يعرف الصادق من الكاذب، فمن أحب النبي ـ ﷺ ـ امتثل أمره،واجتنب نهيه، وتفانى في طاعته، وابتعد عن مخالفته ولقد جعل الله ـ عز وجل ـ دليل محبته إتباع الرسول ـ ﷺ ـ ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾(آل عمران: ٣١).

قال ابن القيم-رحمه الله- : (يحببكم الله) إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها، وفائدتها، فدليلها وعلاماتها إتباع الرسول، وفائدتها وثمرته محبة المُرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية) (مدارج السالكين: ٣/ ٢٢).

---

(١) مجموعة العبقريات العباس العقاد ص: ١٠ .

وقال ابن كثير (تفسير القرآن: ١/٣٥٨):

(هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله).

إن محبته - ﷺ - هي الإتباع لسُنَّته، والسير على محبته، والبعد عن مخالفته.

إن المحبين للنبي - ﷺ - حقيقة هم الذين عرفوا منزلته، وأفعمت قلوبهم بمحبته، وظهرت عليهم أمارات سُنَّته، أحبوه كل الحب، وأعظم الحب، وأصدق الحب، ولكنهم لم يغلوا فيه، ولم يطروه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولم يخلعوا عليه شيئاً من صفات الألوهية ولم يدعوه من دون الله، فهو عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه

وأمينه على وحيه، والداعي إلى توحيده، وتعظيمه.

ليست المحبة مجرد ابتهالات أو موالات أو احتفالات إن المحبة الحقيقية هي التي حوت الإجلال والتقدير والاحترام والتأدب مع سنته ـ ﷺ ـ، وليست محبة هائمة فلسفية المشرب، خيالية المورد، تورث تأليها لذاته، وتجريدا لصفاته، وتترنم بأشعار الغالين، وصلوات المتنطعين.

المحبة الصادقة هي المحبة الشرعية المنضبطة، لا غلو ولا جفاء، ولا تقصير ولا إطراء، إتباع لا ابتداع، اقتفاء لا ادعاء، قول وعمل، دعوة وحقيقة، أخذ بالطريقة ، المحبة ولاء وولاية، دعوة وهداية، علم ورواية، حفظ ودراية، اهتمام وعناية رفع للراية. المحبة موالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، ومناصرة أنصاره، ومؤازرة أتباعه، محبةً لمحبيه، وبغضاً لمخالفيه، تأدب بآدابه، تخلق بأخلاقه، أخذ بشمائله، حب لفضائله،

رضاً لرضاه، سخط لسخطه، غضب لغضبه.

المحبة بذل للمهج، وجود بالمال، ودفاع عن العقيدة، وحراسة للشريعة، حب للآل، وإجلال للأصحاب، وأخذ بالكتاب وتحر للصواب [١] .

تعجب الخلقُ من دمعي ومن ألمي
وما درَوا أن حبي صغته بدمي

أستغفر الله ما ليلى بفاتنتي
ولا سعادٌ ولا الجيران في أضم

لكن قلبي بنار الشوق مضطرمٌ
أُفٍ لقلب جمود غير مضطرمِ

منحتُ حبي خير الناس قاطبةً
برغم من أنفه لا زال في الرغمِ

(١) السراج المنير لناصر الزهراني : ٥ـ٨ بتصرف يسير .

يكفيـك عن كـل مدح مـدح خالقـهِ
واقـرأ بربـك مبـدأ سـورةَ القلـمِ
شهـم تُشيّـدُ بـه الدنيـا برمتهـا
على المنائـرِ من عُـرب ومن عجـم
أحيـا بـك الله أرواحـاً قـد انـدثـرت
في تربة الوهـم بين الكـأس والصنـم
نفضتَ عنهـا غبـار الـذل فاتقـدت
وأبـدعـت وروت مـا قلـتَ للأمـمِ
ربيـت جيـلاً أبيـاً مـؤمنـاً يقظـاً
حَسَـوا شريعتـك الغـراء في نهـمِ
منـابـر وسجـلاتُ وأنْـديـة
وأحـرف وقـوافٍ كـن في صمـمِ

إن كان غيري له من حبكم من نسبٍ
فلي أنا نسب الإيمان والرحمِ
إن حلَّ في القلب أعلى منك منزلةً
في الحب حاشا إلهي بارئ النِسَمِ
فمزق الله شرياني وأوردتي
ولا مشت بيَّ إلى ما أشتهي قدمي [1]



(١) أبيات من السراج المنير للشاعر ناصر الزهراني.

(٩)

من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة

عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ أُفرِد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه ، قال:« من يردهم عنا وله الجنة ؟» - أو «هو رفيقي في الجنة »، فتقدم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قُتل، ثم رهقوه أيضًا ، فقال: « من يردهم عنا وله الجنة ؟- » أو « هو رفيقي في الجنة » -، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: « ما أنصفنا أصحابنا » رواه مسلم [١] .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ :شرح النووي على مسلم :(١٢/ ١١٧) :

قوله : (فلما رهقوه) هو بكسر الهاء أي غشوه

(١) أخرجه مسلم ـ رقم : (١٧٨٩).

وقربوا منه أرهقه أي غشيه قال صاحب الأفعال : رهقته وأرهقته ، أي : أدركته قال القاضي في المشارق: قيل لا يستعمل ذلك إلا في المكروه ، قال : وقال ثابت: كل شيء دنوت منه فقد رهقته والله أعلم .

قوله (أن النبي - ﷺ - كان معه سبعة رجال من الأنصار ، ورجلان من قريش فقُتلت السبعة فقال : لصاحبيه - ﷺ - ما أنصفنا أصحابنا) الرواية المشهورة فيه ما أنصفنا بإسكان الفاء وأصحابنا منصوب مفعول به هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين ومعناه ما أنصفت قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال بل خرجت الأنصار واحدا بعد واحد ، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه ما أنصفنا بفتح الفاء والمراد على هذا : الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم) .

قلت : قليل هي الفرص التي تعرض للمرء ، وقليل هم من يستغلها ، ولقد كان السبعة الصحابة من الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ ممن لا يفوت الفرص الثمينة لاسيما إذا كانت رفقة النبي ـ ﷺ ـ في الجنة ، فلما أن هُيئت لهم الفرصة ، ورأوها سانحة أمامهم حتى انقضوا عليها ، وكانت أرواحهم ثمناً ، ودماءهم فدى في سبيل رفقة النبي ـ ﷺ ـ .

وفيه فضيلة الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ،وحبهم لرسول الله ـ ﷺ ـ وتفانيهم في الدفاع عنه ، وحمايتهم له بالروح والنفس ، وكانت هذه القصة في معركة أحد ، تلك الغزوة التي نزل بها قرآن من رب العالمين ، وكان من خبرها ما قصه الصحابة الكرام ، وهاهي تفاصيل خبرها ، ودقائق أخبارها ، أنقلها لك من كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ قال في : (زاد المعاد في هدي خير العباد - (٣ / ١٧٢ـ ١٨٩).

فصل: فى غزوة أُحُد:

ولما قتل الله أشرافَ قريش ببدر، وأُصيبُوا بمصيبةٍ لم يُصابُوا بمثلها، ورَأَسَ فيهم أبو سفيانَ بنُ حربٍ لذهاب أكابرهم، وجاء كما ذكرنا إلى أطراف المدينةِ فى غزوة السَّويق، ولم يَنَلْ ما فى نفسه، أخذ يُؤَلِّبُ على رسول الله - ﷺ - وعلى المسلمين، ويجمِّع الجموعَ، فجمع قريباً مِن ثلاثةِ آلافٍ من قريش، والحلفاء، والأحابيش، وجاءوا بنسائهم لئلا يَفِرُّوا، وليحاموا عنهن، ثم أقبل بهم نحوَ المدينة، فنزل قريباً من جبل أُحُد بمكان يقال لهُ: عَيْنَيْن، وذلك في شوَّال مِن السنة الثالثة، واستشار رسولُ الله - ﷺ - أصحابه أيخرُج إليهم، أم يمكُثُ في المدينة؟ وكان رأْيُه ألا يخرجُوا من المدينة، وأن يتحصَّنُوا بها، فإن دخلوها، قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنِّساء مِن فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبدُ الله بن أُبَيّ، وكان هو الرأي، فبادر

جماعةٌ مِن فُضلاء الصحابةِ ممن فاته الخروجُ يوم بدر، وأشاروا عليه بالخروج، وألحُّوا عليه في ذلك، وأشار عبد الله بن أبَي بالمُقام في المدينة، وتابعه على ذلك بعضُ الصحابةِ، فألَحَّ أولئك على رسول الله ـ ﷺ ـ، فنهض ودخل بيته، ولَبسَ لأْمَتَهُ، وخرج عليهم، وقد انثنى عزمُ أولئك، وقالوا: أكْرَهْنَا رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ على الخروج، فقالوا: يا رسول الله؛ إن أحببتَ أن تَمْكُثَ في المدينة فافعَلْ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَا ينبغي لنبي إذا لَبسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ عدوِّه».

فخرج رسولُ الله ـ ﷺ ـ في ألف من الصحابة، واستعمل ابنَ أمِّ مكتُوم على الصلاة بمن بقى في المدينة، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ رأى رؤيا، وهو بالمدينة، رأى أن في سيفِه ثُلْمَةً، ورأى أن بقراً تُذبح، وأنه أدخل يده في درع حَصينة، فتأوَّل الثُّلمة فى سيفه برجل يُصاب من أهل بيته، وتأوَّل البقرَ بنَفرٍ من أصحابه يُقتلون،

وتأوَّل الدِّرع بالمدينة.

فخرج يوم الجمعة، فلما صار بالشَّوْط بَيْنَ المدينةِ وأُحُد، انخزَل عبدُ الله بن أُبَي بنحو ثُلثِ العسكر، وقال: تخالفني وتسمَعُ مِن غيري، فتبعهم عبدُ الله ابن عمرو بن حرام، والد جابر بنِ عبد الله يوبِّخهم ويحضُّهم على الرجوع، ويقول: تعَالَوْا قاتِلُوا في سبيل الله، أو ادفعوا. قالوا: لو نَعلَمُ أنكم تُقاتلون، لم نرجع، فرجع عنهم، وسبَّهم، وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحُلفائهم مِن يهود، فأبى، وسلك حرَّة بني حارثة، وقال: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ» ؟، فخرج به بعضُ الأنصارِ حتى سلَك في حائط لِبعض المنافقين، وكان أعمى، فقام يحثو الترابَ في وجوه المسلمين ويقول: لا أُحِلُّ لكَ أن تدخُلَ في حائطي إن كنتَ رسولَ الله، فابتدره القومُ لِيقتلوه، فقال: «لا تقتُلوه فهذا أعمى القلب أعمى البصرِ».

ونفذ رسولُ الله ـ ﷺ ـ حتى نزلَ الشِّعبَ مِن أُحُد في عُدْوَةِ الوادي، وجعلَ ظهرَه إلى أُحُد، ونهى الناسَ عَنِ القِتَال حتى يأمرهمْ، فلما أصبحَ يومَ السبتِ، تعبَي للقتال، وهو في سبعِمائة، فيهم خمسون فارساً، واستعمل على الرُّماة ـ وكانوا خمسين ـ عبدَ الله بن جُبيرٍ، وأمره وأصحابَه أن يَلزمُوا مركزهم، وألا يُفارِقُوه، ولو رأى الطيرَ تتخطفُ العسكر، وكانوا خلفَ الجيشِ، وأمرَهُم أنْ يَنْضَحُوا المُشرِكِينَ بالنَّبْلِ، لِئَلا يأتُوا المُسْلِمِينَ مِنْ وَرَائِهِم.

فظاهر رسولُ الله ـ ﷺ ـ بَيْنَ دِرعَيْن يومئذٍ، وأعطى اللِّواء مُصْعَبَ بنَ عُمير، وجعل على إحدى المجَنِّبَتَيْنِ الزبيرَ بنَ العوام، وعلى الأخرى المُنذرَ بنَ عمرو، واستعرض الشبابَ يومئذ، فردَّ مَن استصغره عن القِتال، وكان منهم عبدُ الله بنُ عمر، وأُسامَة بن زيد، وأُسَيْدُ بن ظَهِيرٍ، والبراءُ بن عازب، وزيد بن أرقم،

وزيدُ بن ثابت، وعَرَابةُ بن أوس، وعمرو بنُ حَزْم، وأجازَ مَن رآهُ مُطِيقاً، وكان مِنهم سَمُرَةُ بنُ جُنْدَبً، ورافعُ بن خَديج، ولهما خمسَ عشْرة سنة. فقيل: أجاًز مَن أجاز لبلوغه بالسِّنِّ خمس عشرة سنةً، وردَّ مَن رَدَّ لِصغره عن سِنِّ البُلُوغ، وقالت طائفة: إنما أجازَ مَنْ أَجاز لإطاقته، وردَّ مَن رَدَّ لِعدم إطاقته، ولا تأثيرَ للبلوغ وعدمه في ذلك قالوا: وفى بعض ألفاظ حديث ابن عمر: «فلَمَّا رآني مُطِيقاً أجازني».

وتعبَّتْ قريشٌ للقتال، وهم في ثلاثةِ آلافٍ، وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالدَ بنَ الوليد، وعلى الميسرةِ عكرمةَ بنَ أبى جهل، ودفعَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ سيفَه إلى أَبى دُجَانَة سِماكِ بن خَرَشَةَ، وكان شُجاعاً بطلاً يختل عند الحرب ، وكان أول من بدر المشركين أبوعامر الفاسق ، واسمه عبد عمرو بن صيفي ، وكان يسمى : الراهب ، فسماه النبي ـ ﷺ ـ الفاسق ، وكان

رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ، شرق به، وجاهر رسول الله ـ ﷺ ـ بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ـ ﷺ ـ ويحضهم على قتاله ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، ومالوا معه فكان أول من لقي المسلمين، فنادى قومه وتعرف إليهم ، فقالوا له :لا أنعم الله بك عينا يا فاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر،ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ أمت ، وأبلى يومئذ أبو دجانة الأنصاري ، وطلحة بن عبيد الله ، وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس بن النضر ، وسعد بن الربيع .

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهزم عدو الله ، وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ـ ﷺ ـ بحفظه ، وقالوا : يا قوم الغنيمة

فذكرهم أميرهم عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يسمعوا وظنوا أن ليس للمشركين رجعة ، فذهبوا في طلب الغنيمة ، وأخلو الثغر وكر فرسان المشركين ، فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من الرماة، فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرمَ منهم بالشهادة ، وهم سبعون، وتولَّى الصَّحَابة،وخلَصَ المشركون إلى رسـولِ الله ـ ﷺ ـ فجرحُوا وجهَه، وكسروا رَباعِيَّتَه اليُمْنى، وكانت السُّفلى، وهَشَمُوا البيضة على رأسه،ورمَوْهُ بالحِجَارة حتى وقع لِشقه، وسقط في حُفرة مِن الحُفَرِ التي كان أبو عامر الفَاسقُ يَكيدُ بها المسلمين، فأخذ عَلي بيده،واحتضنه طلحةُ بنُ عُبيد الله،وكان الذي تولَّى أذاه ـ ﷺ ـ عَمْرُو بنُ قَمِئَةَ، وعُتْبَةُ بنُ أبى وقاص، وقيل: إن عبد الله بن شهاب الزهرىَّ، عمّ محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، هو الذي شجَّهُ.

وقُتِلَ مصعبُ بن عمير بين يديه، فدفع اللِّواء إلى عليِّ بن أبى طالب، ونشبت حَلَقَتَان مِن حلق المِغْفَر فى وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجرَّاح، وعضَّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه مِن شدَّةِ غوصِهما فى وجْهِهِ

وامتصَّ مَالكُ بنُ سنان والد أبى سعيد الخدريِّ الدَّمَ مِن وجنته، وأدركه المشركون يُريدُونَ ما الله حائلٌ بينَهُم وبينَه، فحال دُونَه نفرٌ مِن المسلمين نحو عشرة حتى قُتلوا، ثم جالدهم طلحةُ حتى أجهضهم عنه، وترَّسَ أبو دُجانة عليه بظهره، والنبل يقع فيه، وهو لا يتحرَّك، وأصيبت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان، فأتى بها رسولَ الله ـ ﷺ ـ، فردَّها عليه بيده، وكانَتْ أصحَّ عينيه وأحسنَهما، وصرخ الشيطانُ بأعلى صوتِهِ: إنَّ محمداً قَد قُتِلَ، ووقع ذلك في قلوب كثيرٍ من المسلمين، وفرَّ أكثرُهم، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً.

ومر أنسُ بنُ النَّضر ـ رضي الله عنه ـ بقوم من المسلمين قد

أَلقَوا بأيديهم، فقال: ما تنتظِرُونَ؟ فقالوا: قُتِلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ، فقال: ما تَصْنَعُونَ في الحياة بعده؟ قومُوا فموتُوا على ما مَاتَ عليه، ثم استقبلَ الناسَ، ولقي سعدَ بنَ معاذ فقال: يَا سَعْدُ؛ إني لأَجدُ رِيحَ الجَنَّةِ مِنْ دُونِ أُحُد، فقاتل حتى قُتِلَ، ووُجِدَ به سبعونَ ضَربةً، وجُرِحَ يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحواً من عشرينَ جِراحة.

وأقبل رسولُ الله ـ ﷺ ـ نحوَ المسلمين، وكان أوَّل مَن عرفه تحتَ المِغْفَرِ كعبُ بن مالك، فصاحَ بأعلى صوته: يا معشرَ المسلمينَ؛ أَبْشِرُوا هذا رسولُ الله ـ ﷺ ـ، فأشار إليه أن اسْكُت، واجتمَع إليه المسلمونَ ونَهضُوا معه إلى الشِّعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلى، والحارث بنُ الصِّمَّة الأنصاري وغيرُهم، فلما استندوا إلى الجبل، أدركَ رسولَ الله ـ ﷺ ـ أبيُّ بنُ خَلَف على جواد له يُقال له: العَوْذ، زعم عدوُّ اللهِ أنه يقتُل عليه

رسولَ الله ـ ﷺ ـ ، فلما اقترب منه، تناول رسولُ الله ـ ﷺ ـ الحربةَ من الحارث بنَ الصِّمَّة، فطعنَه بها فجاءت في تَرْقُوتِه، فكرَّ عدوُّ الله منهزمًا، فقال له المشركون: والله ما بك من بأس، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المَجَاز، لماتُوا أجمعُون، وكانَ يَعْلِفُ فرسَه بمكةَ ويقولُ:أقْتُلُ عليه محمداً،فبلغ ذلك رسولَ الله ـ ﷺ ـ، فقال: «بَلْ أنَا أَقْتُلُه إنْ شَاءَ الله تَعَالَى» فلما طعنَه، تَذَكَّر عدوُّ الله قوله: «أنا قاتلهُ»، فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح، فمات منه في طريقه بِسَرِفَ مَرْجِعَهُ إلى مكَّةَ.

وجاءَ عليّ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بماء ليشرب منه، فوجده آجناً، فردّه، وغسل عن وجهه الدم، وصبَّ على رأسه، فأراد رسولُ الله ـ ﷺ ـ أن يعلوَ صخرةً هُنالك، فلم يَسْتَطِع لِما به، فجلس طلحةُ تحتَه حتى صَعِدَهَا، وحانت الصلاةُ، فصلَّى بهم جالساً، وصار رسولُ اللهِ ـ ﷺ ـ في ذلك اليوم تحتَ لِواء الأنصار.

وشدَّ حنظلةُ الغسيل وهو حنظلةُ بن أبى عامر على أبى سفيان، فلما تمكَّن منه، حَمَلَ على حنظلة شَدَّادُ بنُ الأسود فقتله، وكان جُنُباً، فإنه سَمِعَ الصَّيْحَةَ، وهو على امرأته، فقَامَ من فَوره إلى الجهاد، فأخبرَ رسول الله ـ ﷺ ـ أصْحَابَهُ: «أنَّ المَلائكَةَ تُغَسِّلُهُ» ثم قال: «سَلُوا أَهْلَهُ: مَا شَأْنُهُ» ؟ فسألُوا امرأته، فَأَخْبَرَتْهُمُ الخَبَرَ. وجعل الفقهاءُ هذا حُجة، أن الشهيدَ إذا قُتِلَ جُنباً، يُغسَّل اقتداءً بالملائكة.

وقتل المسلمون حاملَ لواءِ المشركينَ، فرفَعَتْهُ لهم عَمْرَةُ بنتُ علقمةَ الحارثيَّة، حتى اجتمعوا إليه، وقاتلت أُمُّ عُمارة، وهى نُسيبَةَ بنتُ كعب المازنية قتالاً شديداً، وَضَرَبَتْ عمرَو بن قَمِئَةَ بالسَّيْفِ ضَرَبَاتٍ فَوَقَتْهُ دِرعانِ كانتا عليه، وضربها عمرو بالسِّيْفِ، فجرحها جُرحاً شديداً على عاتقها.

وكان عمرو بن ثابتِ المعروفُ بالأُصَيْرِم من بنى

عبد الأشهل يأبى الإسلامَ، فلما كان يَوْمَ أُحُدٍ، قذف الله الإسلامَ فى قلبه للحُسْنى التى سبقت له منه، فأسلم وأخذ سيفَه، ولَحِقَ بالنبى ـ ﷺ ـ، فقَاتل فأُثْبتَ بالجرَاح، ولم يعلم أحدٌ بأمره، فلما انجلت الحربَ، طافَ بَنو عبد الأشهل فى القتلى، يلتمِسُون قتلاهم، فوجَدوا الأُصَيْرِمَ وبهِ رَمَقٌ يسير،

فقالوا: والله إن هذا الأصيرمَ، ما جاء به ؟لقد تركناه وإنه لَمُنْكَرٌ لهذا الأمر، ثم سألوه ما الَّذى جاء بك ؟ أَحَدَبٌ عَلى قَوْمِكَ، أم رغبةٌ فى الإسلام ؟ فقال: بل رغبةٌ في الإسلام، آمنتُ بالله ورسوله، ثم قاتلتُ مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أصابني ما تَرَوْنَ، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: «هُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». قال أبو هريرة: ولم يُصَلِّ لله صَلاَةً قَطُّ.

ولما انقضَتِ الحربُ، أشرف أبو سفيان على الجبل، فنادى: أفيكم محمد ؟ فلم يُجيبُوهُ، فقال: أفيكُمُ ابنُ أبى

قُحَافة ؟ فلم يُجيبوه. فقال: أفيكُم عُمرُ بنُ الخطاب ؟ فلم يجيبوه، ولم يَسْأَلْ إلاَّ عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعِلمِ قومه أن قِوَامَ الإسلام بهم، فقال: أمَّا هَؤلاء، فقد كُفيتُموهم، فلم يَملكْ عُمَر نفسَه أن قال: يَا عَدُوَّ الله؛ إنَّ الَّذينَ ذكرتَهُمْ أحياءٌ، وقد أبقى اللهُ لَكَ ما يَسُوءُكَ، فقال: قَدْ كان في القوم مُثْلَةٌ لم آمُر بها، ولم تسؤْني، ثم قال: أعْلُ هُبَلُ. فقال النبي ـ ﷺ ـ: «ألا تُجِيبُونَه» ؟ فَقَالُوا: ما نقُولُ ؟ قال: «قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وأَجَلّ»، ثم قال: لَنَا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. قال: «ألا تُجيبُونَه» ؟ قالُوا: ما نقول ؟ قال: «قولُوا: اللهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكم».

فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته، وبشِرْكِهِ تعظيماً للتوحيد، وإعلاماً بعزة مَنْ عبده المسلَمون، وقوةِ جانبه، وأنه لا يُغلب، ونحن حزبُه وجُنده، ولم يأمرهم بإجابته حين قال: أفيكم محمد ؟ أفيكم ابنُ

أبى قُحافة ؟ أفيكم عمر ؟ بل قد رُوى أنه نهاهم عن إجابته، وقال: «لا تُجيبوه»، لأن كَلْمَهُمْ لم يكن بَرَدَ بَعْدُ في طلب القوم، ونارُ غيظهم بعد متوقدة، فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كُفيتموهم، حمىَ عمر ابنُ الخطاب، واشتد غضبُه وقال: كذبْت يا عدوَّ الله، فكان فى هذا الإعلام من الإذلال، والشجاعة، وعدم الجُبن، والتعرفِ إلى العدو في تلك الحال، ما يُوذِنُهمَ بقوة القوم وبَسالتهم، وأنهم لم يَهِنُوا ولم يَضْعُفُوا، وأنه وقومَه جديرون بعدم الخوفِ منهم، وقد أبقى الله لهم ما يسوؤهُم منهم، وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد ظنِّه وظنِّ قومه أنهم قد أُصيبوا من المصلحة، وغيظ العدو وحِزبِه، والفتِّ في عَضُدِه ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحداً واحداً، فكَانَ سؤاله عنهم، ونعيُهم لِقومه آخِر سهام العدو وكيده، فصبر له النبيُّ ﷺ ـ حتى استوفى كيده، ثم انتدب له

عُمَرُ، فرد سِهَام كيدِهِ عليه، وكان تركُ الجواب أولاً عليه أحسن، وذكره ثانياً أحسن، وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سأل عنهم إهانةً له، وتصغيراً لشأنه، فلما منَّته نفسُه موتَهم، وظنَّ أنهم قد قتِلُوا، وحصل بذلك من الكِبرِ والأشر ما حصل، كان في جوابه إهانةٌ له، وتحقيرٌ، وإذلالٌ،ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي ـ ﷺ ـ : «لا تُجيبُوه»،فإنه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمّدٌ؟ أفيكم فلانٌ؟ أفيكم فلانٌ؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء، فقَد قُتِلُوا، وبكل حال، فلا أحسنَ من ترك إجابته أولاً، ولا أحسنَ من إجابته ثانياً.

ثمَّ قال أبو سفيان: يَوْمٌ بيوم بَدْر، والحَرْبُ سجَالٌ، فأجابه عُمَرُ فقال: لاَ سَوَاءَ، قَتْلانَا في الجَنَّةِ، وَقَتْلاكُمْ في النَّارِ.

وقال ابن عباس: ما نُصِرَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ في

مَوْطِنٍ نَصْرَه يَوْمَ أُحُد ، فأُنْكِرَ ذلكَ عليه، فَقَالَ: بيني وبَيْنَ من يُنكِرُ كتابُ الله، إنَّ الله يَقُولُ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قال ابنُ عباس: والحَسُّ: القتلُ، ولقد كان لِرسولِ الله ﷺ ولأصحابه أوَّلُ النهار حَتَّى قُتِلَ مِن أصحابِ المَشركينَ سبعةٌ أو تسعةٌ... وذكر الحديث.

وأنزلَ اللهُ عليهم النُّعاسَ أمنةً مِنْهُ في غَزاةِ بدرٍ وأُحُدٍ، والنعاسُ في الحرب،وعند الخوف دليل علىً الأمنِ، وهو من الله، وفى الصَّلاة ومجالِس الذكر والعِلمَ مِن الشيطان.

وقاتلت الملائكةُ يومَ أُحُدٍ عن رسول الله ـ ﷺ ـ، ففي «الصحيحين»: عن سعدِ بن أبى وقاص، قال: «رأيتُ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ يَوْمَ أُحُد وَمَعَهُ رَجُلان يُقَاتلان عَنْهُ، عليهما ثِيَابٌ بِيْضٌ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلا بَعْدُ».

وفى «صحيح مسلم»: أنه ـ ﷺ ـ، أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ في سَبْعَةٍ مِنَ الأنصار، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فلما رَهِقُوه، قَالَ: «مَنْ يَرُدُّهمْ عَنَّا، وَلَهُ الجَنَّة»، أو «هُوَ رفيقي فى الجَنَّة» ؟ فتقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الأنصَار، فقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثم رَهِقُوهُ، فقال: «مَنْ يَرُدُّهُم عنَّا، ولهُ الجَنَّةُ»، أو «هُوَ رَفيقي فى الجنَّة»، فتقَدّمَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار، فَقَاتَلَ حتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «ما أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا»، وهذا يُروى على وجهين: بسكون الفاء ونصب «أصحابنا» على المفعولية، وفتح الفاء ورفع «أصحابنَا» على الفاعلية.

ووجه النصب: أن الأنصار لما خرجُوا للقتال واحداً بعد واحد حتى قُتِلُوا، ولم يخرج القرشيان، قال ذلك، أي: ما أنصفت قريشٌ الأنصار.

ووجه الرفع: أن يكون المراد بالأصحاب، الذين



فرُّوا عن رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أُفْرِدَ في النفر القليل، فَقُتِلُوا واحداً بعد واحد، فلم يُنْصِفُوا رسول الله ـ ﷺ ـ ومَنْ ثبت معه.

وفى «صحيح ابن حبان» عن عائشة، قالت: قال أبو بكر الصِّديقُ: لمَّا كان يومُ أُحُد، انصرفَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَن النبي ـ ﷺ ـ، فكنتُ أوَّلَ مَنْ فَاءَ إلى النبي ـ ﷺ ـ، فرأيتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلاً يُقَاتِلُ عنه ويَحْميه، قلتُ: كُنْ طَلْحَةَ فدَاكَ أبى وأمي، كُنْ طَلْحَةَ فدَاكَ أبى وأمي. فلم أَنْشَبْ، أَنْ أدركني أبو عُبَيْدَة بنُ الجرَّاح، وإذا هُوَ يشتَدُّ كأنه طيرٌ حتى لحقني، فدفعنا إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ، فإذا طلحةُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَرِيعاً، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «دُونَكُمْ أَخَاكُم فقد أَوْجَبَ»، وقد رُمىَ النبي ـ ﷺ ـ في جبينه، وروى: فى وَجْنَته حتَّى غَابَتْ حَلقَةٌ مِنَ حَلَقِ المِغْفَرِ فِي وَجْنَتِه، فَذَهَبْتُ لأنْزعَهَا عَن النبي ـ ﷺ ـ، فقالَ أَبُو عبيدَة: نَشَدْتُك باللهِ يا أبا بكر إلاَّ تركتني ؟ قال:

فَأَخَذَ أبو عبيدة السَّهْمَ بفيه، فَجَعَلَ يُنَضْنِضُهُ كَرَاهَةَ أَنْ يُؤْذِيَ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ، ثُمَّ استلَّ السَّهْمَ بفيه، فَنَدَرَتْ ثَنِيَّةُ أَبِي عُبيدة، قال أبو بكر: ثم ذَهَبْتُ لآخُذَ الآخَرَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: نَشَدْتُكَ بالله يا أبا بَكْرٍ، إلا تركتني؟ قال: فَأَخَذَهُ، فَجَعَلَ يُنَضْنِضُهُ حَتَّى اسْتَلَّهُ، فَنَدَرَتْ ثَنِيَّةُ أبي عُبَيْدَةَ الأُخْرَى، ثمَّ قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: «دُونَكُمْ أَخَاكُمْ فَقَدْ أَوْجَبَ»، قال: فأقبلنا عَلَى طلحة نُعالِجه، وقد أصابته بضعة عَشَر ضربة.

وفي «**مغازي الأموي**»: أن المشركين صَعدُوا على الجبل، فقال رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ لسَعْدٍ: «اجنُبْهُمْ» يقول: اردُدْهم. فقال: كيف أَجْنُبُهُمْ وحدي؟ فقال ذلك ثلاثاً، فأخذ سعدٌ سهماً مِن كنانته، فرمى به رجلاً فقتله، قال: ثم أخذتُ سهمي أعْرِفُهُ، فرميتُ بِه آخر فقتلتُه، ثم أخذتُه أعْرِفُه، فرميتُ بَه آخر فقتلتُه، فهبطوا مِن مَكانِهِم، فقلتُ: هذا سهمٌ مبارك، فجعلته في كنانتي،

فكان عند سعد حتى مات، ثمَّ كان عند بنيه.

وفى «الصحيحين» عن أبى حازم، أنه سئِلَ عن جُرح رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: «والله إني لأعْرفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُول الله ـ ﷺ ـ، ومَنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ، وبما دووي، كَانَتْ فَاطمَةُ ابنتهُ تَغْسلُه، وعليُّ بْنُ أبى طَالَب يَسْكُبُ المَاءَ بالمَجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطمَةُ أنَّ المَاءَ لاَ يَزيدُ الدَّمَ إلا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قطعة مِنْ حَصيرٍ، فَأَحْرَقَتْهاَ فَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ».

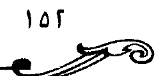
وفى «الصحيح»: أنه كُسِرَت رَبَاعيتُه، وشُجَّ فى رَأْسه، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدمَّ عنه، ويقُول: «كَيْف يُفْلحُ قَوْمٌ شَجُّوا وَجْهَ نبيِّهِمْ، وكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَه، وهُوَ يَدْعُوهم» فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) ﴾ .

[آل عمران: ١٢٨].

ولمَّا انهزم الناسُ، لم ينهزمْ أنسُ بنُ النضرِ. وقال: اللهُمَّ إني أعْتَذرُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ هؤلاء، يعني المُسْلمينَ، وَأبْرَأ إليْكَ ممَّا صَنَعَ هؤلاء، يَعنى المُشْركينَ، ثم تقدَّم، فَلَقيَه سعدُ بن معاذ، فقال: أينَ يا أبَا عُمَرُ؟ فَقَالَ أَنَسٌ: واهاً لريح الجَنَّة يَا سَعْدُ، إني أجدُهُ دُونَ أُحُد، ثُمَّ مَضَى، فَقَاتَلَ القَوْمَ حَتَّى قُتلَ، فَمَا عُرفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُه ببَنَانه، وَبه بضْعٌ وثَمانُونَ، مَا بَيْنَ طَعْنَة برُمْحٍ، وَضَرْبَةٍ بَسَيْفٍ، وَرَمْيَةٍ بسَهْم.

وانهزم المشركون أوَّل النهار كما تقدَّم، فصرخ فيهم إبليسُ: أيْ عِبادَ الله، أخزاكم الله، فارجِعُوا مِن الهزيمة، فاجتلدوا.

ونظر حُذيفة إلى أبيه، والمُسْلمُونَ يريدون قتله، وهم يظُنُّونه مِن المُشْركِينَ، فقال: أي عِبَادَ الله؛ أبي، فَلَمْ يَفْهَمُوا قوله حتَّى قتلوه، فَقَالَ: يَغْفرُ اللهُ لَكُمْ، فأرادَ رَسُولُ الله - ﷺ - أنْ يَديَه، فَقَالَ: قَدْ تَصَدَّقْتُ بديته عَلَى



المُسْلِمينَ، فزادَ ذَلِكَ حُذَيْفَةَ خَيْراً عِنْدَ النبي ـ ﷺ ـ.

وقال زيدُ بنُ ثابت: بعثني رسُولُ الله ـ ﷺ ـ يوم أُحُد أطلُب سعدَ بنَ الرَّبيع، فقال لي: «إنْ رَأَيْتَهُ فأقرئه منِّي السَّلاَمَ، وقُلْ لهُ: يقولُ لَكَ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ: كَيْفَ تَجِدُكَ» ؟ قالَ: فجعلتُ أطوفُ بَيْنَ القَتْلَى، فأتيتُه، وهو بآخرِ رَمَق، وفيه سبعونَ ضربةً، ما بين طَعنة برُمح، وضربةٍ بسيف، ورميةٍ بسهم، فقلت: يا سعدُ؛ إنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ يقرأ عليكَ السَّلامَ، ويقول لك: أخبرني كيف تَجِدُكَ ؟ فقال: وعلى رسول الله ـ ﷺ ـ السلامُ، قل له: يا رسُولَ الله؛ أجِدُ ريحَ الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عُذْرَ لكم عندَ الله إن خُلِصَ إلى رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ، وفيكم عَيْنٌ تَطْرِفُ، وفاضَتْ نفسُهُ من وقته.

ومرَّ رجل مِن المهاجرين برجُل مِن الأنصار، وهو

يَتَشَحَّطُ في دَمه، فقال: يا فلانُ؛ أشعرتَ أن محمَّداً قد قُتل ؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قُتلَ، فقد بلَّغ، فقاتلُوا عَنْ دينكم، فنزل: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية.

وقال عبد الله بن عمرو بن حرام: رأيتُ في النَّوم قَبْلَ أُحُد، مبشِّرَ بنَ عبد المنذر يقول لي: أنت قادمٌ علينا في أيَّام، فقلتُ: وأين أنتَ ؟ فقال: في الجنة نَسْرَحُ فيها كَيْفَ نشاء، قلت له: ألم تُقتَلْ يومَ بدر ؟ قال: بلى، ثم أُحْيِيْتُ، فذكر ذَلِكَ لِرسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «هَذِهِ الشَّهَادَةُ يَا أبا جَابِر».

وقال خيثمة أبو سعد، وكان ابنُه استُشْهِدَ مع رسول الله ـ ﷺ ـ يومَ بدر: «لَقَدْ أخطأتني وَقْعَةُ بَدْر، وكُنْتُ والله عليها حَريصاً، حتى سَاهَمْتُ ابني في الخُرُوج، فخَرجَ سهمُه، فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ، وقد رأيتُ البَارِحَةَ ابني في النوم في أَحْسَنِ صُورةٍ يَسْرَحُ في ثِمارِ

الجَنَّة وأَنْهَارهَا، ويقولُ: الْحَقْ بنَا تُرافقْنَا في الجَنَّة، فَقَدْ وَجَدْتُ ما وعدني رَبِّى حقاً، وقد واللهِ يَا رَسُولَ الله أَصْبَحْتُ مُشْتَاقاً إلى مُرَافقَته في الجَنَّة، وقَد كَبرَتْ سني، وَرَقَّ عَظْمِى، وأحببْتُ لقَاءَ رَبِّى، فَادْعُ اللَّهَ يَا رَسُولَ الله أَنْ يرزقني الشَّهَادَة، ومُرافقة سَعْد في الجنَّة، فَدَعَا له رسولُ الله ـ ﷺ ـ بذَلك، فَقُتلَ بأُحُد شَهيداً».

وقال عبدُ الله بنُ جَحْش في ذلك اليوم: اللهُمَّ إني أُقْسمُ عَلَيْكَ أَنْ أَلْقى العَدُوَّ غدَاً، فيقتلوني، ثُمَّ يَبْقُرُوا بطني، ويَجْدعُوا أَنْفِى، وأذني، ثُمَّ تسألني: فيمَ ذلك، فَأَقُول فيك.

وَكَانَ عَمْرُو بنُ الجَمُوح أَعْرَجَ شَديدَ العَرَج، وكانَ له أربَعَةُ بَنينَ شَبَاب، يَغْزُوَنَ مَعَ رسول الله ـ ﷺ ـ إذَا غَزَا، فَلَما تَوَجَّهَ إلى أُحُد، أرادَ أن يَتَوجَّهَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ بَنُوهُ: إنَّ اللهَ قد جعلَ لَك رخصةً، فلو قَعَدْتَ ونحنُ نَكْفِيكَ، وقد وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجهَادَ، فأتى عَمْرُو بْنُ

الجَمُوح رسُولَ الله ـ ﷺ ـ، فقال: يا رسُولَ الله؛ إنَ بني هؤلاء يمنعوني أنَ أخْرُجَ مَعَكَ، ووالله إني لأَرْجُو أن أُسْتَشْهدَ فأطأ بعَرْجَتي هذه في الجَنَّة، فَقَال له رسول الله ـ ﷺ ـ : «أمَّا أنْتَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الجهَادَ» وَقَالَ لبَنيه: « ومَا عَلَيْكُم أَنْ تَدعُوهُ، لَعَلَّ اللهَ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ»، فخرجَ مَعَ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شهيداً.

وانتهى أنسُ بنُ النَّضرِ إلى عُمَرَ بنِ الخطاب، وطلحةَ ابن عبيد الله في رجال مَن المهاجرين والأنصار، وقد ألقَوْا بأيديهم، فقَالَ: ما يُجْلسُكم ؟ فَقَالُوا: قُتلَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ ، فقال: فما تَصْنَعُونَ بالحَيَاة بَعْدَهُ ؟ فَقُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ، ثمَّ استقبل القَوْمَ، فقاتَلَ حتَّى قُتِلَ.

وأقبل أُبيٌّ بنُ خَلَفٍ عَـدُوُّ اللهِ، وهو مُقَنَّعٌ في

الحديد، يقول: لا نجوتُ إنْ نجا محمَّد، وكان حَلَفَ بمكة أن يقتُل رسولَ الله ـ ﷺ ـ، فاستقبلهُ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر، فَقُتِلَ مُصْعَبٌ، وأَبصَرَ رسُولُ الله ـ ﷺ ـ تَرْقُوَةَ أُبيِّ بْنِ خَلَف مِنْ فُرْجة بَيْنَ سَابغَة الدِّرْع والبَيْضَة، فطعنَه بِحَرْبَته، فوقَعَ عَنْ فَرَسه، فاحتمله أصحابُه، وهو يَخُور خُوارَ الثَّور، فقالُوا: ما أجزعَكَ ؟ إنما هو خَدْشٌ، فذَكر لهم قولَ النبي ـ ﷺ ـ: «بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى» فمات برابغ.

قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «إني لأسيرُ ببطن رَابغ بعد هُوِيٍّ من الليل، إذا نارٌ تأجَّجُ لي، فيممتُها، وإذا رجل يخرج منها في سِلْسِلَة يجتذبُها يصيحُ: العطش، وإذا رجل يقول: لا تَسْقِه، هذا قتيلُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ، هذا أُبيُّ بنُ خلف».

وقال نافعُ بنِ جُبير: سمعتُ رجلاً من المهاجرين يقولُ: شَهِدْتُ أُحُداً، فنظرتُ إلى النَّبل يأتي من كُلِّ

ناحيةٍ، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ وسَطَهَا، كُلُّ ذَلِكَ يُصرفُ عنه، ولقد رأيتُ عبدَ الله بن شهابِ الزهري يقولُ يومئذ: دلوني على محمد، لا نجوتُ إن نَجا، ورسولُ الله ـ ﷺ ـ إلى جنبه ما معه أحد، ثم جاوزهُ، فعاتبه في ذلك صَفوان، فقال: واللهِ ما رأيتُهُ، أَحْلِفُ بالله، إنه مِنّا ممنوعٌ، فخرجنا أربعةً، فتعاهدنا، وتعاقدنا على قتله، فلم نخلُص إلى ذلك.

ولما مصَّ مالك أبي سَعيد الخُدْري جرحَ رسول الله ـ ﷺ ـ حتى أنقاهُ، قال له: «مُجَّهُ» قال: والله لا أَمُجُّهُ أبداً، ثم أدبر، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إلَى هذَا».

قالَ الزهري، وعاصم بن عمر، ومحمد بن يحيى ابن حبانٍ وغيرُهم: كان يومُ أحد يومَ بلاء وتَمحيص، اختبر الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ به المؤمنين، وأظهر به المنافقين

ممن كان يُظْهرُ الإسلام بلسانه، وهو مُستخف بالكُفر، فأكْرَمَ الله فيه مَن أراد كرامتَه بالشهادةِ من أهل ولايته، فكان مما نزل من القرآن فى يوم أُحُد ستون آية من آل عمران، أولها: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى آخر القصة). ا.هـ .



الفهرس